جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

العدد السادس والثمانون/ السنة الواحدة والخمسون
مُحرَّم – ١٤٤٣هـ / أيلول ٢٠٢١/٩/٥م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢
ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506

للتواصل:
radab.mosuljournals@gmail.com
URL: https://radab.mosuljournals.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإِنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: السادس والثمانون   السنة: الواحدة والخمسون   مُحرَّم – ١٤٤٣هـ / أيلول ٢٠٢١م

رئيس التحرير: الأُستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأُستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيبانيّ (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأُستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الأنبار/العراق
الأُستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرايبة	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأُردن
الأُستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأُستاذ الدكتور كلود فينثز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأُستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأُستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأُستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأُستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندريّة
الأُستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأُستاذ المساعد الدكتورة أسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: م.د.خالد حازم عيدان	– مقوّم لغوي/ اللغة العربيَّة
م.م.عمَّار أحمـــــد محمود	– مقوّم لغوي/ اللغة الإِنكليزيَّة

المتابعــــــــة:

مترجم.إيمان جرجيس أمين	– إدارة المتابعـــــة
مترجم.نجلاء أحمد حسين	– إدارة المتابعـــــة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأَخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أَن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أَن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أَي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلَّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليَّة البحث) .
- يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيَّة أو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـويـات

العنـوان	الصفحة
بحوث اللغة العربية	
بلاغة التوشيع في أحاديث المصطفى الشفيع عمَّار إسماعيل أحمد	1 - 29
فلسفة التّاريخ في شعر نزار قبّاني (الأعمال السّياسيّة أنموذجاً) محمود عايد عطية	30 - 69
التذييل بأسماء الله الحسنى فرح سالم محمد شيت و وفاء فيصل إسكندر	70 - 101
الأفعال الدالة على ثبوت الفاعل وسكونه في القرآن الكريم إسماعيل حميد حمد أمين	102 - 106
الجملة الاستئنافية في صحيح البخاري/دراسة وتحليل عبير طارق ظاهر الحاصود	126 - 170
النقد المعرفي: نحو إبدال منهجي محمد عبدالله عروس	171 - 211
بحوث التاريخ والحضارة الإسلاميَّة	
التحصيل العلمي والادبي لأبناء الخلفاء في بلاط الدولة العباسية نور طارق طاهر و وجدان عبد الجبار النعيمي	212 - 246
الخليفة علي بن ابي طالب(عليه السلام) وعلاقته الاجتماعية مع الخلفاء الراشدين(رضي الله عنهم) (11-35هـ/632-665م) بناز إسماعيل عدو	247 - 280
موقف بريطانيا من أزمة البوسنة والهرسك (1908-1909) نيبار بديع عبدالعزيز و إبراهيم حميد إبراهيم	281 - 338
الصلات السياسية بين الكويت ونجد في فترة حكم الشيخ مبارك الصباح 1896-1915 روزين عارف عيسى و سعاد حسن جواد	339 - 384
الإسلام والخَراج بتول عباس فاضل	385 - 397
بحوث علم الاجتماع	
البعد الاقتصادي والاجتماعي للسياسة المالية في العراق بعد 2014 دراسة تحليلية فائز محمد داؤد	398 – 422
دور الدين في تحقيق السلطة والضبط الاجتماعي أُسامة عثمان محمد	423 - 459
بحوث القانون	
الإشكاليات في أَحكام جريمة الاختلاس عبد ال محمد قادر رجب	460 - 502
بحوث طرائق التدريس وعلم النفس	
الكفاءة الذاتية وعلاقتها بالتقييم الذاتي على وفق معايير برنامج بناء القدرات في التعليم لدى المرشدين التربويين في محافظة نينوى وليد سالم حموك	503 - 546
بحوث الجغرافية	
الموقع الجغرافي للعراق وحدوده سياسيًا عبد المحسن أَحمد إبراهيم طه و أَحمد حامد علي العبيدي	547 - 578
بحوث الشريعة والعلوم الإسلاميَّة	
موقف السلف والخلف من الآيات المتشابهات الواردة في صفات الله تعالى	579 - 610

	خسرو إسماعيل صالح	
بحوث الفلسفة		
جماليات الأدب الروائي عند دنيس ديدرو وأبعاده الفلسفية	سالي محسن لطيف	638 - 611

CC BY

فلسفة التّاريخ في شعر نزار قبّاني

(الأعمال السّياسيّة أنموذجًا)

محمود عايد عطية *

تأريخ التقديم: 2021/7/13 تأريخ القبول: 2021/8/7

المستخلص:

تتحدد مشكلة البحث في الوقوف على فلسفة التّاريخ من خلال الأعمال الشّعريّة السّياسيّة لنزار قبّاني، بوصفها قضيّة ماثلة في وعينا العربيّ، رافقت التّغيّرات السّياسيّة والفكريّة التي تغيّرت على إثرها معطيات واقعيّة عدّة، منها اجتماعيّة وحضاريّة وفنيّة، وشاعرنا كان قريباً من المشهد الفكريّ للتّاريخ بتجربته الأدبيّة والسّياسيّة، ونجد أنّه تفاعل شعريّاً مع تلك التّجربة على نحو يجعلها جديرة بالدّراسة والبحث.

وقد تكون المسائل الجماليّة والفنيّة التّعبيريّة في النّصّ الأدبيّ، من القضايا التي تعين المتلقي على معرفة اسلوب المبدع، والكشف عن أفكاره وتوجّهاته، ومن ثمّ تسهم في توجيه القراءة، وتحدّد المسار النّقديّ الذي يبحث في مضامين تلك النّصوص؛ ممّا يؤدّي إلى توجيه فهم القارئ أو النّاقد لتلك النّصوص وتحديد مسار بحثه إلى حدّ كبير. وبحثنا هذا يحاول الذّهاب إلى الزّاوية الفكريّة التي نجد أنّها ما زالت بحاجة إلى بحث وتقصٍ، لا سيّما أنّ الموضوعة التي نطرحها تمزج بين الفكر، والواقع، والأدب؛ وكلّ من هذه الموضوعات يمثّل مبحثاً مهمّاً في الدّراسات النّقديّة والإنسانيّة.

اشتمل بحثنا على فقرات اقتضتها مشكلته، فوضعنا تمهيداً نبيّن فيه كيف يكون التّاريخ مرجعاً في اللغة الفنيّة على نحو خاص في تجربة أدبيّة، حتّى نتمكن من الكشف عنه نقديّاً، ثم وزّعنا مادّته على جوانب فلسفيّة في التّاريخ تضمّنها النّصّ

* أُستاذ مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة الموصل .

المدروس، من حيث التّرابط الجّدليّ بين قضيتين أو أكثر، لأنّ الأساس الذي يشتغل فيه التّاريخ متعلّق بتلك القضايا ذات التّرابط الزّمنيّ الذي يصل الماضي بالحاضر، فتضمّنت: الفعل والتّفكير والكتابة، والامتداد والدّيمومة، والرّفض والتّجاوز، والحركة والسّكون، ثمّ الموجود والمفقود، إذ نوقشت جميعها عن طريق الاستدلال بالدّلائل اللغويّة والتّصويريّة، ثم قورنت الوقائع والإشارات النّصيّة على النّحو الذي يكشف الأفكار التي يولّدها النّصّ، وانتهينا إلى استنتاج نبيّن فيه ما توصّلنا إليه من خلال البحث.

الكلمات المفتاحية: فلسفة التّاريخ – الزمنيّة – الرّؤية – الرّفض – الدّيمومة.

<u>تمهيد</u>: التّاريخ والنّصّ والفلسفة:

يعد الزمن من المجالات الخصبة التي تستوعب كلّ شيء، وبالإمكان القول إنّ كلّ شيءٍ له ارتباط بالماضي، أي له تاريخ بالمعنى الواسع للكلمة، فلا توجد أيّة ظاهرة أو واقعة غير زمنيّة، إذا وقعت في متعيّن أو غير متعيّن؛ فكلّ ما يتعيّن الآن ينتمي إلى حاضر، ثمّ يتحوّل بمرور الزّمن إلى حدث وقع في الماضي يمكن استرجاعه عبر الذّاكرة، أي ستكون له دفّة تاريخيّة قد يفقد من خلالها بعض سماته بوصفه واقعة حدثت في الماضي تُغيّر موقعها من مكان معيّن وظروف معينّة إلى حالة ذهنيّة تحاول أن تُظهرها الواقعة من خلال الكتابة. كما يمكن أن تتّصل الواقعة بزمن غير متعيّن أو هو في طور الصّيرورة والتّكوّن، ومن هنا تجوز الإفادة من نقل واقعة ما من زمن متعيّن إلى زمن غير متعيّن؛ إذا ما وضِعتْ الواقعة في سياق نصّيّ أو أدبيّ تنتقل بموجبه من حالة الاستقرار في زمن ما، إلى ديمومة فيها حالة من التّحوّل المستمر، كلّما أُعيدتْ قراءة ذلك النّصّ أو وُضِعَ مع أفكار وسياقات جديدة، ولهذا يمكن فهم التّصوّرات المتباينة لفهم معنى التّاريخ مفردة ومفهوماً؛ فـ ((تنطوي كلمة (تاريخ) لدى أغلب الشّعوب على ثلاثة معانٍ فهي تعني أوّلاً ما وقع في الماضي، وتعني ثانياً سرد وقائع في الماضي فعلاً أو ما يتصوّر الرّاوي، وتعني ثالثاً دراسة الماضي (رواية الأحداث وتأويلها)))[1] فعندما تغادر الواقعةُ زمن حدوثها فإنّها تنتظم كتابيّاً في

([1]) المدارس التّاريخيّة الحديثة: الهادي التّيمومي، دار التنوير للطباعة والنّشر – بيروت، ط1، 2013م: ص15.

ما يُصطلح عليه بالتّاريخ، ورواية الواقعة أو سردها وحكايتها هي الجزء الذي يمتثل لشرط الأرخنة، أي تحويل الواقعة من فضاء حدوثها الحقيقيّ في مكان محدد وزمن معيّن إلى مجال المدوّن والمؤلّف، ممّا يجعل الواقعة قابلة للنّشر والاشتهار والرّواية والتّداول، ولهذا لا يقف التّاريخ على الوقائع التي توجد في الفعل الذي انقضى وحسب، بل يأخذها إلى الأجيال اللاحقة من خلال المادّة المؤرّخة، فما لا يؤرّخ يتلاشى في زمنيّته ويفقد وجوده بوصفه تاريخاً؛ فلا تاريخ بلا رواية أو تنصيص. وممّا يدعو للتّبصّر بالتّاريخ هو عدم إمكانية وصف الواقعة وصفاً تقريريّاً مجرّداً، ففهم الواقعة يحتاج جلب ما يحيط بها من شؤون قد تخرج عن لبّ الواقعة نفسها، وقد يتطلّب إضافة ما قد يكون أحد عوامل حصولها، أو العناصر التي أثّرت فيها، ويبدو لنا أنّ القراءة النّقديّة للتّاريخ، إذا ما استندت إلى تلك الظّروف، فإنّها توجّه الرّؤية والفهم اتجاهاً غير وصفيّ، إنّما يكون قرائيّاً أو تأويليّاً، فكتابة التّاريخ وإعادة كتابته ليست تسجيلاً أو نقلاً، بل تتشكّل الواقعة بما يضيفه الذّهن إليها من أفعال وأفكار في نسيج معنويّ واحد، لأنّ ((الخطاب التّاريخي تمثيل أثير لقدرة الإنسان على ضخّ المعنى في تجربة الزّمن، لأنّ المرجع المباشر لهذا الخطاب هو الأصوات الواقعيّة، لا الأحداث المتخيّلة))[1] ومن هنا تأتي حساسيّة الكتابة الأدبيّة وإشكالاتها إذا ما تضمّنت وقائع وأحداثاً؛ لأنّ الوقائع والأحداث لها حدود يؤطّرها المكان والزّمان، ومع ذلك، لا يمكن وضع المكتوب التّاريخيّ في مرتبة الحقيقيّ والنّهائيّ، لأنّه قابل للتّأويل والاندماج في سياقات أخرى كالسّياقات الأدبيّة، أي أنّ كتابة الواقعة والحدث تضع فيهما بعض ما ينتمي للمتخيّل؛ لما في الكتابة من خصائص تتجاوز زمن الواقعة، وبذلك نجد أنّ المدوّنة التّاريخيّة لا تستطيع المحافظة المطلقة على كيان الحدث والواقعة؛ فقد تتوسّع أو تتقلّص بفعل مطاوعة التّاريخيّ لفلسفة من ينظُر فيه، وهذا يعني أنّ ((من أدمن النّظر في التّاريخ وأطال التّأمّل في حوادثه لا بدّ أن ينتهي فيه إلى رأيّ خاصّ ويكوّن لنفسه فلسفة ينظر إلى التّاريخ في ضوئها مهما كانت قيمة هذه الفلسفة))[2] فقراءة

([1]) الوجود والزّمن والسّرد، فلسفة بول ريكور: تحرير: ديفيد وورد، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثّقافيّ العربيّ – الدّار البيضاء، ط1، 1999م: ص192.

([2]) بين الفلسفة والأدب: علي أدهم، دار إحياء الكتب العربيّة – القاهرة، ط1: ص4.

التّاريخ والعودة إليه لا تعني تلمّس الحقائق الجاهزة فيه، بل تتعدّى ذلك إلى النّظر إليه من شرفات عدّة؛ تفلسفه بطريقة ما، قد تنتج عن استلهامه وتوظيفه، أو ترتكز عليه وتستشهد به، أو تنقد بعض مفاصله؛ فقد يؤخذ الحدث أو الواقعة مع سياقها الجديد الذي تعطي فيه معنى، وبهذا فإنّ فلسفة التّاريخ بهذا التّقريب تأخذ ما وقع بطريقة كليّة؛ هو وسياقه بوصفهما حاصلاً، بصرف النّظر عمّا يقع بين السّبب والنّتيجة من ملابسات، فالمعنى الذي ينجلي عن فلسفة التّاريخ، بنظرها للفعل الإنساني ، يكشفه الذّهن وينقله النّصّ، إذ يبقى ((للتّاريخ معنى لأنّ الأفعال الإنسانيّة تنتج المعنى. وتستمرّ هذه المعاني على مدى أجيال زمنيّة متعاقبة))[1] لأنّها محمولة نصّيّاً، مع العلم أنّ بعض سمات تلك المعاني تنمو وتتغيّر كلّما تغيّرت السّياقات التي تردُ فيها، بحيث لا تبدو كما كانت عليه أوّل الأمر. ولا بدّ لكلّ سياق من أطراف تُبرز أهميّة اللغة في وضع المستخلص من الأفكار ضمن رؤية يجتمع فيها الحدث والمتحدّث في بوتقة واحدة؛ بحيث يصير ((التّاريخ بالجملة محصّلة الموضوع والمغامرة العقليّة للذّات العارفة))[2]، وبذلك تبدو حدود الانفصال والاتّصال بين التّاريخ وفلسفة التّاريخ أكثر وضوحاً، لأنّ المسافة الفكريّة بينهما هي المسافة التي نتصوّرها بين إنتاج النّصّ وبين رحلته عبر الأجيال وهو يعطي معاني متباينة مع كلّ عمليّة قراءة وتأويل، ومن ثمّ فإنّ فلسفة التّاريخ تجعل التّاريخ في المخصّص والمحدّد، بمعنى أنّها تجيء بقراءات متنوّعة تنبع من عمق النّظر في مادّة التّاريخ وظروفه ومكوّناته، فالواقعة والحدث كلّما ابتعدا عن زمانهما ومكانهما الفعليّين فقدا كثيراً من معطيات حدوثهما، وصارا واقعة كلاميّة يمكن التّأمل فيها على نحو مختلف، أو بتعبير آخر؛ تكون أكثر مرونة واستجابة للمعطيات الذّهنيّة التي تشرك كلّاً من النّاظر فيها ومتلقيها في التّجربة التّاريخية، بحيث تتحوّل تلك التّجربة إلى تجربة تفلسف أكثر من كونها تجربة معايشة، لأنّها ممارسة معرفة وتفكّر وقراءة، وهذا يعني تقريب التّاريخ من مستوى الواقعة النّصّيّة أكثر، والانتقال به عن مجال الواقع الفعليّ، لأنّ الواقعة النّصّيّة تحتوي

([1]) م. ن: ص201.

([2]) ابستمولوجيا التّاريخ، مداخل منهجية في صناعة المعرفة التّاريخيّة: عبدالله عبد اللاوي، ابن النّديم للنّشر والتوزيع – الجزائر، ط1، 2009م: ص54.

((العمل أو الحدث أو الوضع أو الحالة والذّات المشاركة في العمل أو الحدث أو الوضع أو الحالة))[1] ففلسفة التّاريخ ،هنا ، لا تعني رواية ما يُرى ويُشاهد فحسب، إنّما تعني ما يتبدّى للمؤرخ ومتأمّل التّاريخ ذهنيّاً ووجدانيّاً وهو يمارس عمليّة التّأريخ أو توظيف مادّة التّاريخ، فيجمع كلّ ذلك في ما يكتب. إذن، على وفق هذا التّصوّر، لا توجد كتابة تاريخيّة واصفة أو نقيّة، لأنّها تمتزج دوماً بأفكار الكاتب ورؤاه وأسلوبه، بمعنى أنّ أساس ما نصفه بالتّاريخ تؤتيه فلسفة الكاتب للواقعة والحدث والموقف، فتجعل منه نصّاً.

وإذا ما نظرنا إلى التّاريخ من خلال نصّيّته فإنّه لن يكون حاملاً للواقعة حرفيّاً، بل يتحوّل إلى معنى محمول نصّيّاً، ومن المعلوم أنّ النّصّ يشتمل أسلوبيّاً على قواعد كتابيّة تستثني أجزاءً من الواقعة التي تمثّلها وتضيف لها أجزاءً أخرى؛ ليتحقّق انسجام القول لغويّاً وفكريّاً، ففعل الكتابة التّاريخيّة قد ينطوي على مادّة تأليفيّة بشريّة، فـ ((كلّ كتابة تاريخيّة أسطوغرافية، رغم ما تتوخّاه من موضوعيّة وتجرّد وعلميّة، تبقى مشوبة بعدد من السّمات الذّاتيّة التي تكمن وراء التّعابير اللغويّة والمفردات المعجميّة والعناصر البلاغيّة والأسلوبيّة التي تتوسّل بها لسرد الأحداث. وهذه الخصائص الذّاتيّة تكون في الغالب ذات محمولات مرجعيّة وأيدلوجيّة الكشف عنها إلى استقراء ممحّص لخلفيّات الدّوال اللغويّة المجرّدة))[2] فعادة ما يتدخّل المؤرّخ والمؤرخن[*] بما يكتبون امتثالاً للغتهم أو فكرهم ومعتقدهم وانتمائهم؛ ممّا يؤثّر في الحقيقة التي يريدون نقلها، فالتّاريخ يروم قول الحقيقة بدقّة مستنداً إلى الواقعة أو الوثيقة، لكنّه يفقد زمام قولها متأثّراً بتلك العناصر الذّاتيّة التي تجد مكانها في ثنايا المادّة التّاريخيّة، إذ تعمل على قول حقيقة موازية لحقيقة الموضوعة الأساسيّة؛

([1]) قضايا اللغة العربيّة في اللسانيّات الوظيفيّة – بنية الخطاب من الجملة إلى النّصّ: أحمد المتوكّل، دار الأمان للنّشر والتّوزيع – الرّباط، ط1، 2001م: ص88.

([2]) التّاريخ واللسانيّات والنّصّ ومستويات التّأويل: تنسيق وتقديم: عبد الأحد السّبتي، (أعمال المائدة المستديرة – مرّاكش/ 1990م) ط1، 1992م: ص27- 28.

(*) نميّز هنا بين المؤرّخ والمؤرخن؛ إذ يتناول المؤرّخ الحدث الواقعي بالتّدوين والنّقل أو ما يتّصل بالحدث من ملابسات وحيثيات، بينما نشير إلى أنّ المؤرخن مَن يجعل المادة التي دوّنها المؤرّخ سابقاً مجالاً لرؤيته، فنقول أنّ المؤرخن هو الأديب أو الفيلسوف أو السياسيّ.. وغيرهم. وما ورد من استعمال لكلّ من الصيغتين كان مقصوداً في سياقه.

والحقيقة الموازية التي يقولها ذات طبيعة أدبيّة، بوصفها مرويّة توجّه التّاريخ وجهة مستقبليّة أكثر من كونها وجهة آنيّة أو ماضويّة، بمعنى أنّه بجعل الواقعة والحدث نصّاً يضمن نقلهما للّاحقين، بوصف النّصّ مادّة للقراءة، ولعلّ المؤرّخ والمؤرخن يجتهدان في أن يقولا قولتهما بطريقة موجّهة إلى جمهرة محدّدة ليس على سبيل نقل الحقيقة فحسب، إنّما على سبيل التّأثير في القارئ، الذي يفترض أن يكتبا له؛ لذلك يعمدان من خلال فلسفة خاصّة إلى وضع المادّة التّاريخيّة في سياق ينصّ عليها ليحقّقا غايتهما ورسالتهما، عند ذاك يمكننا القول أنّ اشتغال فلسفة التّاريخ يكمن في المادّة التّاريخيّة وهي ذائبة في سياق خطابيّ يجتمع فيه الحدث وتجربة المتحدّث في كلام ينقلهما معاً، إذ ((لا توجد أحداث مجرّدة، إنّما الأحداث الواقعيّة والتّاريخيّة منها والمتخيّلة (الأدبيّة) تظهر في سياق خطاب، تعمل استراتيجياته على التّحكم في نوع الحدث، وتظهره طبقاً لسلسلة متكاملة من التّحيّزات الثّقافية الخاضعة لذلك السّياق))[1] وهذا يبيّن أنّ بناء المادّة التّاريخيّة- من حيث الأسلوب والصّياغة وطرائق الكتابة- يحتاج ما تحتاجه الكتابة الأدبيّة من آليّات ثقافيّة وكتابيّة، فعلى الرّغم من اختلاف مقاصد الكتابتين؛ التّاريخيّة والأدبيّة، إلّا أنّه عندما تصير المادّة التّاريخيّة مادّة كتابة فإنّها ستكون بحاجة ماسّة إلى الأدوات التي يتوافر عليها النّصّ الأدبيّ في قابليّته على الإيصال والاحتجاج والتّأثير. فإذا ذهبنا مع القول الذي يرى أنّ التّاريخ مزيج من الوقائع الحقيقيّة وما قيل عنها، فإنّنا نصل إلى أنّ النّصّ لا يجسّد الواقعة تجسيداً، بل يحمل ما بقي منها في الكلام، بمعنى أنّه يقول عنها قولاً، وهذا يعني أنّ فلسفة المادّة التّاريخيّة هي المتبقيّة من خلال النّصوص، أي من خلال ما تعني وليس من خلال ما تصف، وقد ذهب *نيتشه* إلى أبعد من ذلك بإشارته إلى أنّه ((لا توجد واقعة في ذاتها، إذ يجب البدء دائماً بإدخال معنى لكي يمكن أن يكون ثمّة واقعة))[2] فالواقعة منعزلة عمّا يعطيها المعنى، أي إذا لم تدخل في قول محكيّ أو مكتوب، تفقد صفة الوجود التّاريخيّ، ومن هنا لا بدّ من سياق يضمن تحقّقها معنويّاً، ويكسبها

([1]) التّخييل التّاريخيّ؛ السّرد، والإمبراطوريّة، والتّجربة الاستعماريّة: عبدالله إبراهيم، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر – بيروت، ط1، 2011م: ص 285.

([2]) هسهسة اللغة: رولان بارت، ترجمة: منذر عيّاشي، مركز الإنماء الحضاريّ – حلب، ط1، 1999م: ص205.

خصوصيّة في اشتغالها بمعيّة عناصر ذلك السّياق، وعلى وفق هذا؛ فإنّ فلسفة التّاريخ تحتاج تمثيلاً خطابيّاً يضع الوقائع في سياقات قوليّة يكون فيها الخطاب مظهراً للواقعة ومعنى لها في الوقت نفسه، فلا يوجد ما يميّز بين الواقعة نفسها وبين تجلّيها اللغويّ، لأنّ وجود كلّ منهما متحقّق بضرورة تحقّق الآخر، فالواقعة ومعناها تتحقّقان موحّدتين نصّيّاً. وإذا ما أريد للنّصّ أن يبلور هذه الوحدة؛ فلا بدّ له من أن يأتلف على نموذج خطابيّ معين، فإننا – هنا– نتعرّف على الواقعة عندما تُحكى، بوصفها خبراً أو مرويّة ذات خصائص معنويّة، خصوصاً إذا وردت في سياق أدبيّ، ومع احتفاظ التّاريخيّ بجذره الواقعيّ إلّا أنّ معناه يتغيّر، فيتوسّع أو يتقلّص كلّما تغيّر موقعه في النّصّ الأدبيّ، إذ لا تناقض بين التّاريخيّ والأدبيّ إذا ما وردا في سياق قوليّ واحد، والتّمييز بين التّاريخيّ والأدبيّ لا يبدو ضرورة ملحّة من النّاحية النّظريّة في الأقل[1] فالسّياق النّصيّ يستند إلى الواقعيّ/ التّاريخيّ، والتّخييليّ/ الشّعريّ وهما يشتغلان سويّاً في إنتاج معنى ذي طبيعة أدبيّة، كما يذهب لذلك ريكور، فـ((الفعل مرجع جيّد بالنسبة لصنف كامل من النّصوص))[2]، وعندما ننظر في نصّ متضمّن عنصراً تاريخيّاً؛ فإنّنا لن نتابع ذلك العنصر بانفصاله عن اللغة والأسلوب والمعنى الذي يعبّر عنه، بل سنكوّن تصوّراً مبنيّاً على فهمنا للواقعة النّصّيّة، وليس لحضورنا ومعاينتنا للواقعة الحياتيّة التي انقضت؛ فالنّصّ يسمح لنا بملامسة الواقعة من خلال ما تبديه خارطة المنصوص من مزايا تعبيريّة تفتح مساحة كافيّة للتّفكير والتّأويل.

إنّ الإمكانات الأسلوبيّة التي تتوافر عليها الكتابة الأدبيّة تسمح بشعرنة التّاريخ، عندما تتناول القضيّة التّاريخيّة، بوصفها قضيّة شعريّة؛ تُظهر الأحداث متّسقة في نظام خطابيّ شعريّ[3] وهذا الانتظام بإمكانه وضع الوقائع أو العناصر المنفصلة زمنيّاً في سياق دلاليّ مقصود، يتيح لها أن تنقل فلسفة المؤلّف في التّاريخيّ ومن خلاله. وثمّة اعتناء بالظّاهرة الأسلوبيّة التي تكمن فيها الوقائع بوصفها أحداثاً محايثة تشكّل إحدى

([1]) ينظر: مدخل إلى النّظريّة الأدبيّة : جونثان كلر، ترجمة: مصطفى بيّومي عبدالسّلام، المشروع القوميّ للتّرجمة (ع 514) المجلس الأعلى للثّقافة – القاهرة، ط1، 2003م: ص 38.

([2]) من النّصّ إلى الفعل، أبحاث التأويل: بول ريكور، ترجمة: محمد برادة و حسان بورقية، ص134.

([3]) ينظر: سياسة الأدب: جاك رانسيير، ترجمة: رضوان ظاظا، المنظّمة العربيّة للتّرجمة – بيروت، ط1، 2010م: ص 252.

سبل إنتاج أيّ نصّ؛ إن كان سرديّاً أو تفسيريّاً أو تاريخيّاً، لا استغناء له عن أدبيّته وشعريّته، إذ اتّخذ *هايدن وايت* هذه النّظريّة مساراً لفلسفته في التّاريخ، و تتحدّث فكرته ((الأساسيّة عن الأسلوب التّاريخيّ، عن ما هي الأنماط الممكنة للتّمثيل التّاريخيّ، وبالنّسبة له إنّ كلّ التّاريخ والتّفسيرات التي تقدّم حوله هي بلاغيّة وشعريّة بطبيعتها))[1] أيّاً كان نموذجها الخطابيّ، فالمجال النّصّيّ الذي تكون طبيعته شعريّة وأسلوبيّة يضمن فعل الأرخنة، باحتوائه على الأسلوب الذي يجهّز المادّة التّاريخيّة للمادّة الشّعريّة، وهذا يعني أنّ الأرخنة تحمل الفلسفة التي يبنيها النّص الأدبيّ، أو يُبنى عليها، أو يتبنّاها؛ وهو يستند إلى التّاريخ مضافاً إليه ما يودعه المؤلّف في سياق قوله من أفكار هي مدار فلسفته، وتظهر تلك الفلسفة في المدلولات التي يأخذها المؤلّف من الأصول التّاريخيّة مشحونة برؤيته، التي يستلّها من مظهر حياتيّ أو واقعة مثيرة قيد الأرخنة، بمعنى أنّه يفلسف الأحداث خلال انعقاد الصّلة بين الماضي والحاضر، بصرف النّظر عن طبيعة تلك الصّلة؛ إن كانت ناتجة عن التّنافر، أو التّقارب، أو التّشابه، أو الاختلاف؛ بالإفادة من تجربة التّاريخ ((وتستطيع مدلولات الخطاب التّاريخيّ أن تمثّل على الأقل مستويين مختلفين. يوجد مستوى متأصّل في مادّة العبارة. ويحتفظ هذا المستوى بكلّ المعاني التي يعطيها المؤرخ عن رضى إلى الوقائع التي يسترجعها (...) فإذا كانت العبرة متضمّنة فإنّنا نبلغ مستوى ثانٍ، هو مستوى المدلول المتعالي على جماع الخطاب التّاريخي، الذي تنقله موضوعاتيّة المؤرخ، والتي يحقّ لنا أن نطابقها على شكل المدلول))[2] ومن هذا المنطلق تكتسب المادّة المؤرخَنة، في انضمامها إلى المادّة الأدبيّة، تميّزها النّصّيّ المطلق الذي يتعالى على زمنيّته وواقعيّته وحرفيّته؛ وبذلك يهاجر بالمعنى منفصلاً عن ظروفه الواقعيّة إلى ظروف قوليّة تقبل الاندماج بواسطة خطاب جديد، يضع قولاً تاريخيّاً على قول أدبيّ لينجز فلسفته، إذ لا يصله بالواقع سوى مرجعيّته ودلالاته[3]. وبدافع التّخييل تتحقّق رابطة نصّيّة جديدة، من استدعاء المادّة التّاريخيّة في سياقات شعريّة، فيجد (((

([1]) ابستمولوجيا التّاريخ: ص 79.
([2]) هسهسة اللغة: ص 204.
([3]) ينظر: م.ن: ص 206.

ميشيل دسارتو) أنّ الكتابة التّاريخيّة تقع بين حدّين، أي بين المواد (...) أي الأحداث وتقويمها وبين الإخراج النّصّيّ والتّعليق عليها (...) وهي تروم القبض على حقيقة الأحداث من تحت تكاثر هذه الأخيرة وتوالدها، محاولة تأسيس خطاب من الخليط الموجود بين الخياليّ والحقيقيّ))[1] ومن هنا يمكن الحديث عن تمثيل شعريّ للمادّة التّاريخيّة؛ بما أنّ الدّالّة التاريخية بوصفها مادّة الواقعة تستقيم خطابيّاً في نسيج شعريّ، تنعقد بين يديه فلسفة معيّنة.

يتضمّن النّصّ الأدبيّ فلسفة للتّاريخ بالفهم الذي تتموضع فيه الحقيقة في الأسلوب والرؤية الأدبيّة بوصفهما تصويراً وتصوّراً للحقيقة، وقد نُقل عن *فتجنشتين* أنّه يرى أنّ الفلسفة والأدب شيء واحد[2] لأنّ المادّة التي يتكوّنان منها تشركهما في جوانب الحقيقة نفسها؛ بالتّركيز على حيّزهما اللغوي، من حيث تراكب التّأمل والتّفكير والقابليّة على النّقد، فالحقيقية التي ينتجها الوعي البشريّ أو يطلبها تجترح طريقة ما، تُضمّن النّصّ دليلاً على حقيقة إنسانيّة محدّدة. والأدب بوصفه منظومة إنتاج معنويّ متنوّع يحتوي حقائق من مستويات عدّة، قد تستدعي وعياً ما، أو تعبّر عن وعي آخر، أو تستشرفه أيضاً ((فمن الضّروري إذاً أن نجد في الكتابات الأدبيّة حقيقة ما، بالمعنى الفلسفي للكلمة))[3] والحقيقة التي ينتجها الأدب ذات طبيعة شعريّة، فهي حقيقة غير جازمة وغير ثابتة وغير نهائيّة، بمعنى أنّها – بعبارة أكثر وضوحاً– تستند إلى وجهة نظر معيّنة تستبطن ما يريد الذّهن قوله ثم تقدّمه بأسلوب تؤدي فيه اللغة دوراً حسّاساً، فلغة النّصّ الشّعريّ نفسها تتضمّن قدراً كبيراً ممًا نصفه بالحقيقة بالمعنى الفلسفيّ، وقد ((عرّف *باديو* الشّعر كواحد من إجراءات الحقيقة))[4] لأنّه كاشف عن فلسفة ما، إذ يفلسف مادّة الحقيقة شعريّاً، أو يجعلها جزءاً من أسلوب مادّته الشّعريّة، ويلتقي الشّعر بالفلسفة عند النّقطة التي لا يخضع فيها كلّ منهما لحدود معيّنة منهجيّة كالحدود المنهجيّة للعلوم، لذلك يطرح الشّعرُ الحقيقة بأساليب

([1]) ابستمولوجيا التّاريخ: ص 113.
([2]) ينظر: بمَ يفكر الأدب؛ تطبيقات في الفلسفة الأدبيّة: بيار ماشيري، ترجمة: جوزيف شريم، مراجعة: بسّام بركة، المنظّمة العربيّة للتّرجمة – بيروت، ط1، 2009م: ص 20.
([3]) بم يفكّر الأدب: ص 21.
([4]) سياسة الأدب: ص 266.

عدّة؛ كالتّمثيل والتّصوير والتّعبير والاستعارة وغير ذلك. وبما أنّ الشّعر نموذج خطابيّ ناشئ عن التّخيّل والتّأمّل والتّنظيم، فله قدرة على قول الحقيقة بطريقة قد تتفوّق على غيره من الأساليب، فهو يستطيع أن يستبطن المعنى ويستظهره في الوقت نفسه، إذن؛ قدرة الشّعر اللامحدودة على التّعبير تجعله قادراً أن يضاعف إمكانات إنتاج الحقيقة وليس قولها فحسب؛ بمعنى أنّه ينتج حقيقة متعدّدة الوجوه والجوانب والغايات، وهنا مكمن اختلافه عن نماذج الخطاب الأخرى، التي قد تتمكّن من نقل الحقيقة أو قولها أو إنتاجها على وجه واحد، فكلّ إنتاج خطابيّ يتجاوز مداه المعنويّ والتّصويريّ حدود النقل قوليّاً، يقترب من النّموذج الأدبيّ أكثر. والأدب ومنه الشعر يستطيع أن يوسّع دائرة الحقيقة بضمّه حقائق إنسانيّة مجاورة للحقيقة الشّعريّة فيدخلها في نسقه وأسلوبه، لذلك كانت الحقيقة الشّعريّة أغزر وأعمق إذا ما تناولت حقائق أو وقائع كالوقائع والحقائق التّاريخيّة، وعلى وفق ذلك تتمكّن الفلسفة التي ينتجها الشّعر أن تجمع المسائل التي تدخل في جوف المعرفة ولا تكتفي بمظاهرها الخارجيّة، و((نجد هذا الموقف لدى *مارتن هيدجر*، بخاصّة، الذي نظر إلى الشّعر على أنّه نوع من المعرفة الفلسفيّة ولكنّه نوع أعمق من المعرفة التي يحصل عليها الفيلسوف بواسطة عقله))[1] فالشّعر يتمخّض عن إدراك غير محدود للرّؤية، إذ يشتغل خارج الأطر التي تحكمها قوانين العقل المباشرة، فيتناول الجوانب الإنسانيّة تناولاً شاملاً تتعدّد فيه الموارد العقليّة وغير العقليّة، فنشاط المخيّلة لا ينفصل عن نشاط الذّهن في استلهام الوقائع والأحداث التي تصوّرها المادّة الشّعريّة وتمثّلها أسلوبيّاً. والقصيدة تنقل المادّة التّاريخيّة من مادّة ذات طبيعة واقعيّة إلى مادّة ذات طبيعة خياليّة فنّيّة، و((لطالما نُظر إلى التّخيّلات التّاريخيّة على أنّها منشطرة بين صيغتين كُبريَيْن من التّعبير: الموضوعيّة والذّاتيّة، فهي نصوص أُعيد حبك موادها التّاريخيّة فامتثلت لشروط الخطاب الأدبيّ وانفصلت عن سياقاتها الحقيقيّة، ثمّ اندرجت في سياقات مجازيّة))[2] والشّاعر يرطّب جفاف المادّة التّاريخية بتمثيلها الأدبيّ من خلال الخيال

(1) الشّعر والوجود؛ دراسة فلسفيّة في شعر أدونيس: عادل ضاهر، دار المدى للثّقافة والنّشر – دمشق، ط1، 2000م: ص 94.
(2) التّخييل التّاريخيّ، ص 6.

والمجاز، فيطرح فلسفته فيها بطريقة لغويّة مخصوصة، ففي الشّعر لا تتوقف الفلسفة والمعنى على ما يعطيه العقل، بل على ما تعطيه اللغة لأنّها تحمل العقل والمعنى والتّاريخ.

ثمّة علاقة تأثيل بين الجانب التّاريخيّ والجانب السّياسيّ، فلا ينفك أحدهما عن الآخر، إذ يتقاسمان فصيلة خطابيّة واحدة، فحضور التّاريخ في المجال السّياسيّ ليس أمراً طارئاً، فالقضيّة الفلسفيّة لكلّ منهما هي القضيّة نفسها على وفق رأي *ميشيل فوكو*، فـ((مسألة الفلسفة هي مسألة الحاضر الذي هو نحن، لهذا نرى الفلسفة اليوم سياسيّة كلّها، وتاريخيّة كلّها. إنّها السّياسة المحايثة للتّاريخ، والتّاريخ الذي لا غنى له عن السّياسة))[1] وفلسفة التّاريخ في شعر نزار تتناول الموضوعة السّياسيّة في اندماجها بالتّاريخيّ، ونحن هنا نكشف عن وجوه تلك الفلسفة وجوانبها، فالرّؤية الشّعريّة هنا رؤية فلسفيّة، لأنّها تجمع القضايا التّاريخيّة في سياقات شعريّة تفرد كلّاً منها للتّأمل والاعتبار، فالسّياق الشّعريّ لا يعيد بناء الماضي، لكنّه يعيد فهم المادّة التّاريخيّة فيعيد إنتاجها بإدخالها في الرّاهن السّياسيّ واللغويّ شعريّاً، أي أنّ المادّة التّاريخيّة تشكّل كليّاً أو جزئيّاً حقيقة ما يريد النّصّ الشّعريّ قوله في السّياسيّ، بوصفه قضيّة تتطلّب من الشّاعر موقفاً والتزاماً[2]، فشعريّة التّاريخيّ، تبعاً لما ورد، تتمركز على توجيه المادّة التّاريخيّة فلسفيّاً، أي أنّ التّاريخ يكون استراتيجيّة ورؤية يسحبها الشّاعر إلى فضائه الفكريّ، فيمكننا أن ننظر لموقفه ذاك من خلال ((إنتاج القول نفسه وليس نصّ المقول، وهذا شأن المتكلّم الذي يحرّك اللغة لحسابه))[3]، فإذا كانت المادّة التّاريخيّة نصّاً أوّل، فإنّ المادّة الشّعريّة نصّ ثانٍ يستوعب مادّة النّصّ الأوّل ويركّب مقولاته ومدلولاته على النّحو الذي تنتجه فلسفة الشّاعر؛ فيأتي النّصّ الشّعريّ منسجماً مع ما يتصوّره ويتبنّاه الشّاعر من مواقف. والنّصوص التي نناقشها

([1]) التّاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو: السّيد ولد أباه، الدّار العربيّة للعلوم – بيروت، ط1، 2004م: ص 87.

([2]) ينظر: نزار قبّاني ومهمّة الشّعر: الصّادق النّهيوم: إعداد وتحقيق: سالم الكتبي (سلسلة الدّراسات/ ع 4) تالة للطّباعة والنّشر – ليبيا، ط1 (د. ت): ص11.

([3]) إطلالات على النّظريات اللسانيّة والدّلاليّة في النّصف الثّاني من القرن العشرين (مختارات معرّبة): إشراف وتنسيق: عزالدّين مجدوب، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، ج2، بيت الحكمة – قرطاج، ط1، 2012م: ص551.

في المحاور الآتية؛ تكشف الوجه الفلسفيّ للتّاريخ في شعر نزار من خلال أعماله السّياسيّة.

أوّلاً: التّاريخ/ التّفكير والفعل والكتابة:

إنّ الخطاطة النّصّيّة لموضوعة التّاريخ تتناول فكرة التّاريخيّ بطرائق شتّى، تحدّدها السّياقات والعلاقات، إذ يضع الشّاعر مادّته الشّعريّة مع بعض قضايا عصره وقضايا الماضي، بعين الذي يفسّر ويوازن ويحاكم، فيوظّف قواعد التّكوين والتّشكيل التي تمثّل النّموذج الخطابيّ الشّعريّ، ويستثمر قواعد التّحويل[1] التي تضمن احتواء الموضوعة الشّعريّة على القضيّة التّاريخيّة من نوافذ عدّة منها السّياسيّة، فالشّاعر في المجمل يكوّن رؤية شاملة للتّاريخ، تتخللها بعض القضايا الفكريّة والتّصويريّة التي تحمل رؤيته وفلسفته. يربط نزار الجانب السّياسيّ بمعطياته المتّصلة بزمن الحدث ومكانه؛ إذ يضمّن التّعبير السّياسيّ (الشّرق) مجموعة من التّصوّرات التي تدلّ على استحضار الماضي وتمثّله، فيرصد حركة التّفكير المألوف في التّاريخ وهي محصورة في دائرة تبدأ من الماضي وتعود إليه باستمرار، مظنّة أنّ الحياة المعاصرة مطابقة للماضي نفسه[2] فلا تفرّق بين ظرفيّة الماضي وظرفيّة الحاضر، بمعنى أنّها تتناول التّاريخ تناولاً وجدانيّاً يستجيب لما يرد عن الماضي برضى وقبول، ويطوّع له الحاضر ويضعه في نسقه. فالشّاعر يجرّد ذلك الواقع الذي يعيشه (الشّرق/ العرب) ويجعل نمط تفكيرهم في التّاريخ موضوعة للنّقد، بقوله:

((شرقِنا المجترِّ تاريخاً وأحلاماً كسولهْ

وخرافات خوالي..

شرقنا الباحث عن كلّ بطولهْ

في أبي زيد الهلالي..))[3]

([1]) ينظر: الفلسفة واللغة (نقد المنعطف اللغوي) في الفلسفة المعاصرة: الزّواوي بغوره، دار الطّليعة – بيروت، ط1، 2005م: ص169.

([2]) ينظر: الزّمان: جان بوسيل، ترجمة: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاريّ – حلب، ط1، 2005م: ص 72.

([3]) الأعمال السّياسيّة الكاملة، مشورات نزار قبّاني – بيروت، ط1 (د. ت): ص24.

تأتي رؤيته الفلسفيّة في هذا الموضع موجّهة إلى نقد المسار المعاكس للحقيقة التي ينبغي أن يبنيها التّاريخ، فجنوح الوعيّ الشرقيّ ناتج عن إحلال صورة الماضي في الذّهن محلّ التّفكير في الحاضر، أو عدم التّبصّر فيما يفرزه التّسليم بصدق الماضي وحيازته وامتلاكه، فتمثّل الشّعور بالعظمة في الذّهنيّة العربيّة لا يتناسب مع حاضرها الذي يصفه النّصّ بالخمول؛ وذلك يعني أنّ الشّرق يعيش حالة انفصال عن واقعه وحاضره، لأنّه يركّز اهتمامه على ما مضى من أمجاد تحفظها مقولات التّاريخ وحكايات الأدب، التي قد لا تكون نفسها من جنس الوقائع التي حصلت في الماضي حقّاً، فالذّاكرة العربيّة المعاصرة تُعنى كثيراً بما يحفظه المتخيّل ويسلّم به العقل تلقائيّاً، فتنّظر إلى الماضي وقضاياه وما كُتب عنه على أنّها حقائق نعيشها الآن، على الرغم من أنّ تلك القضايا والكتابات قد تحمل قناعات موهومة، صنعتها تأويلات الشّرقيّين وتصوّراتهم عن ثقافتهم وتاريخهم؛ فالنّقد موصول بالرؤية التي تعتدّ بالماضي من دون مراجعة فاحصة أو قراءة دقيقة أو عبرة يمكن أن تُعتبر، فتمثّل لهم بأنّهم جزء من مجد ليس قابلاً للزوال. فتصوير نزار لذلك ونقده لا يقف على هذا؛ بل يفرد أسلوباً يعلّل من خلاله حصول ذلك بدالّة شعريّة تجمع ما جاء به الأدب والتّاريخ سويّاً عن البطولة في ما يروى عن أبي زيد الهلاليّ، فالحقيقة التي يجب أن تؤخذ عن التّاريخ، في هذا الموضع، لا تقف على المأثور القوليّ مكتوباً أو مرويّاً فحسب؛ إنّما يوجدها الفعل الذي يصنع التّأثير، فما يبدو عليه استرجاع التّاريخ يقتصر على ما يبنيه نمط معيّن من الكلام في الوعي من صور، فينشئ منه وعياً مشوّهاً عن الذّات، فالحدث التّخيليّ والتّأمليّ والكلاميّ للشّرقيين فيما يتّصل بالنّظر للماضي يضخّم التّاريخ بالقصص والرّوايات والأقوال، وهو بذلك يحوّله إلى مادّة حكائيّة لغرض المتعة أكثر منه مادّة استلهام، وهذا يعني أنّ نزاراً ينقل نهوض الوعي التّاريخيّ، من مجرّد العيش في نصوص التّاريخ والإشادة بالماضي والانتماء له، إلى محاولة إيقاظ الفكر وتثويره، ليوجّهه إلى ما يجعله ينهض بالحاضر.

يتعزّز هذا المنحى في الكيفيّة التي تشارك فيها الكتابةُ في الحدث التّاريخيّ، بوصفها رديفاً ضرورياً للتّفكير والفعل، فوظيفة النّصّ أن يجلّي الحدث ويؤرّخه، فإذا كان الفعل هو المصدر الأوّل لصناعة التّاريخ فإنّ النّصّ يقود حركة تنويريّة تضاف إلى الفعل

التّاريخيّ وتجعل مثوله في ذهنيّة الإنسان العربيّ المعاصر ممكناً وذا معنى، وهنا تحاول الرّؤية الشّعريّة تصوير الدّور الذي تضطلع به الكتابة في علاقتها بمواكبة التّاريخ وتمثيله ونقله، بحيث تعمل تلك الرؤية على ((إدراك الأبعاد كلّها مملوءة بالمعنى. وهذه الرؤية تتحكّم في الأفكار وكذلك في اللغة. فكما يرى الشّاعر موضوعاته يعبّر عنها. واقع (موضوعات وأفكار) – الشّاعر (الرؤية الشّعريّة) – الشّعر(الكلمات)))[1] فالصيغة الجامعة لظروف القول والكتابة والفعل تجعل منها جميعاً منظومة وعي متكاملة تؤدي وظيفة التّأريخ، و في حال فقدان عنصر الكتابة علاقته بالواقع، فإنّه – بنظرة شبه أيديولوجيّة لما يرد في النّصّ– يتحوّل إلى ممارسة سلبيّة تسحب الوعي إلى مجال غير قادر على أن ينمّي حقيقة الوجود من خلال التّاريخ، ولهذا يوجّه الشّاعر خطابه إلى الكتّاب الذين ينصرفون بالكلمة عن وظيفتها التي يتطلّبها الموقف السّياسيّ والتّاريخيّ، إلى مجالات لا تحمل قوّة تأثيريّة في الموقف أو الفعل، ولا سيّما أنّ الإشكاليّة التي يطرحها الشّاعر تتعلق بالقضايا المصيريّة التي تتحوّل فيها الكتابة من تعبير مجرّد إلى أداة وعي وتغيير وتأريخ، إذ يقول:

((كتّابنا ما مارسوا التّفكير من قرون

لم يقتلوا

لم يصلبوا

لم يقفوا على حدود الموت والجنون

كتّابنا يحيون في إجازة

وخارج التّاريخ يسكنون..))[2]

إنّ قراءة الوجه الآخر للنّصّ يبيّن أنّ المعنى الذي يتولّد عنه لا يُحمل على الوصف فحسب، بل يُحمل على النّقد من خلال النفي والإثبات لما للكتّاب وما عليهم، ومهمّة الكاتب في التّاريخ من خلال هذا النّصّ مقرونة بالتّفكير والفعل، فعلاقة الكاتب بالفعل في أن يندمج في التّجربة الواقعيّة لكي يستطيع أن يحوّل الكلام إلى أفعال لغويّة ذات

([1]) أسئلة الشّعرية، بحث في آليّة الإبداع الشّعريّ: عبدالله العشّي، منشورات الاختلاف – الجزائر، ط1، 2009م: ص94.

([2]) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 114-115.

طبيعة إنجازيّة، وأن يصوّر الحقيقة ويكشفها ولا يكتفي بالحياد، فكما أنّ الحدث يمكث في النّصّ، فإنّ الكاتب هو الذي يوثّق الأفعال والمنجزات باللغة والخطاب، فالزّمن الخالص عندما يسير لا يحمل معه الحادث ولا يحمل صورته، إنّما الكاتب مَن ينقله من زمن لآخر عبر ما يكتب، فيكون بذلك مشاركاً في إنتاج التّاريخ وجزءاً منه، ولا يكون خارجه أو خارجاً عنه. وهنا يجب أن نشير إلى أنّ نزاراً يربط كلّاً من الفعل والتّفكير والكتابة في فلسفة التّاريخ بعلاقة تضافر لا ينفصل المعنى عنها مجتمعة، فالكتابة في صلتها بالتّاريخ لا بدّ أنّ تستند إلى التّجربة التي تفقد من دونها قيمتها ومصداقيّتها، والكاتب إذا ما فقد أحد أطراف تلك العلاقة خرج عن حدود التّاريخ، أي أنّه بفعله الكتابيّ الذي يمسّ الواقع يجعل من الحاضر موضوعاً للأرخنة، بجعله التّاريخ جزءاً من ثقافته ومادّته ومسؤوليته، ومن دون ذلك فإنّ الكاتب لن يستطيع أن ينتمي إلى التّاريخ وينمّيه.

وبما أنّ الكتابة متّصلة بالفعل والإنجاز، فالشّاعر في نظر نزار يحمل جزءاً من مسؤوليّة صناعة الحدث التّاريخيّ، وليس حكايته فحسب؛ لأنّ الشّاعر وهو يخوض تجربة التّاريخ لا يمتثل لشروط الشّعر بمفرده أو التّاريخ بمفرده، إنّما يجعل منهما شيئاً واحداً تتحوّل بموجبه التّجربة الفرديّة إلى تجربة جمعيّة، فالتقديم الشّعريّ للتّاريخ يضيف ما يعطيه الخيال إلى ما يفرزه الواقع لإغناء المعنى وإثرائه، فـ((تعيد المقاربة التّاريخية ،مهما تكن، وضع القصيدة وتنقلها من تلفّظ شخصيّ إلى إفصاح عن اهتمامات الثّقافة وممارساتها، وهكذا توسّع من مدى المعنى الكامن في النّص الشّعري))[1]، لأنّ الخطاب عندئذ يمرّر فلسفته عبر أكثر من صورة وأكثر من دلالة، ونزار يطرح فكرته من خلال شعراء القضيّة الفلسطينيّة، إذ يعكس فيها أهميّة النّص الشّعريّ في إبراز قدرة الكلمة على صنع الحدث التّاريخيّ الفريد. والنّص، على وفق ما ورد، لا يكتفي بالتّوثيق أو التّسجيل، بل يؤسّس مقولة التّاريخ على مبدأ القوة بالتّعبير الاستعاري ممثّلاً بالحرف الذي يسند الفعل ويعزز الوقائع، فالخطاب الشّعريّ المصاحب لقضيّة ما يجسّد حقيقة الوعيّ التّاريخي بها، فالتّجلّيات الكلاميّة لأيّ صراع

(1) نظريّة الأدب المعاصر وقراءة الشّعر: ديفيد بشبندر، ترجمة: عبدالمقصود عبدالكريم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب – القاهرة، ط1، 2005م: ص143.

تحتاج قوّة الكلمة للغلبة والانتصار، مثلما تحتاج الأسباب الأخرى، وهذا ما نجده في قوله:

((نحن الشّعراء المهزومين
نحن الغرباء عن التّاريخ
وعن أحزان المحزونين
نتعلّم منكم
كيف الحرف يكون له شكل السّكين))[1]

فالكلمة لها من الفاعليّة ما يرفعها إلى مقام الفعل بوصفها ظهيراً له وإحدى أدواته، فهي لا تعبّر عن رأي أو تصوّر وحسب، إنّما تحمل موقفًا يجّسد الانتماء والمقاومة، ومن ثمّ تمثّل الانتساب إلى مجال الفعل التّاريخي وعدم الاغتراب عنه، فإذا كان هذا النّص يمثّل فلسفة نزار في ربط التّاريخ بالحدث القائم وليس بالزّمن الماضي فحسب، فإنّه من زاوية أخرى يؤكّد إيمانه بأنّ صناعة التّاريخ ترتهن بالمواجهة وليس الانهزام، فالخطاب الشّعريّ أمام مسؤوليّة كتابة التّاريخ الذي هو في طور التّكوّن من زاويته الإيجابيّة، والشّاعر المنتمي يسهم في إنتاج خطاب يجعل ذلك التّكوّن ممكناً، لقابليته على تغيير الفكر والموقف والفعل، فهو بتأثيره على محيطه يستطيع أن يبني من الكلام قوّة مضادّة في المواجهة.

إنّ الفكرة التي يكوّنها نزار عن التّاريخ تحافظ على سياقها بالإشارة إلى ربط التّاريخ الواقع المعيش حاليّاً، ولا تكتفي باستحضار المواقف والأقوال عن الماضي، فيبدو أنّ التّاريخ بصيغته القوليّة الموروثة عمّا تحفظه الكتب، مهما تضمّن مواقف على درجة من الرّفعة والسّمو، لا يمثّل التّاريخ بمعناه الإنجازيّ الذي يقع في صميم فلسفة نزار في التّاريخ؛ فالنّصّ الذي نتحدّث عنه، يجمع التّاريخ الشّخصيّ المتّصل بالماضي القريب، من خلال الذّاكرة التي يستعيد فيها نزار أيّامه في دمشق، مع الماضي البعيد الذي يرتبط بالوعيّ التّاريخيّ الجمعيّ الذي يسترجع فيه دمشق أيّام أمجادها، وأيّام العرب عامّة، فيتبيّن لنا من ذلك أنّ المادّة التّاريخيّة التي نقرؤها في الكتب، ليست إلّا

(1) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 152.

جزءاً من الماضي الذي يتصوّره النّاس وتغيب عنهم حقيقته، وهذا يعني أنّ الوعي بالتّاريخ عند من يطّلع عليه في هذا المقام مقتصر على جانبه القوليّ، ولا يستهدي بما كان وراءه من وقائع وحقائق وأفعال. غير أنّ رؤية نزار تخالف ذلك، فهو عندما يمزج عناصر متباعدة من أحوال من سبقه مع تجربته في سياق شعريّ واحد، فإنّه يحاول التّدليل على رؤيته المعاصرة التي يريد الإقناع بها[1]، فهي – كما مرّ في مواضع أخرى– رؤية تنتقد إعطاء التّاريخ وجهاً واحداً موقوفاً على معرفة الماضي وما ورد عنه من الأقوال، إذ تتبدّى لنا أبعاد ما يرمي إليه من خلال المفارقة التي تدلّ على رفضه تجميد التّاريخ عند ذكر ما مضى من مراتب القوّة والغلبة، فالحقيقة التي يراها نزار تفيد من الماضي قدرته على الإلهام واقتفاء الأفعال، والمعنى الذي يقودنا إليه النّص أنّه ليس من الممكن تغيير الحاضر بمجرّد التّفكير بالماضي؛ فالواجب يقتضي تحرير الوعي من اللغة التي تفرض التّعلّق بالماضي من خلال الملفوظ، والانتماء إلى الحاضر فكريّاً وواقعيّاً، فالخطاب ظرفيّ بطبيعته، فلا يوجد خطاب مطلق تكون أطرافه وصلاته ومقاصده هي نفسها في القديم والحديث. وفي هذا السيّاق يمكن فهم ما كُتب عن الماضي على أنّه خطاب خاصّ، له ظروفه القوليّة واشتراطاته المعنوية، بمعنى أنّ المقصود به هؤلاء الذين عاشوا في تلك الأزمان باشتراط حضورهم بأفعالهم وأقوالهم، إذ لا يمكن إسقاطه على الأجيال اللاحقة، لذلك يؤكد الشّاعر تصوّره على أنّ التّاريخ تجربة ظرفيّة تعاش مع كلّ حدث جديد، لها وقائعها وخطاباتها التي لا تنفصل عنها، لكي يمكن النظر إليها بوصفها وعياً حقيقيّاً بالتّاريخ، وليست وعياً زائفاً به، وما جاء في النصّ عن فلسطين يجسّد ذلك التصوّر وتلك الرؤية بالقول:

((وطالعوا كتب التّاريخ... واقتنعوا
متى البنادق كانت تسكن الكتبا ؟
سقوا فلسطين أحلاماً ملونة

(1) السّياق الأدبيّ، دراسة نقديّة تطبيقيّة: محمود محمد عيسي، منشورات جامعة المنصورة – مصر، ط1، 2004م: ص84.

وأطعموها سخيف القول، و الخطبا))[1]

فالخطاب الشّعري في سياقه الإجمالي – من خلال هذا النّص – يستنكر الاستكانة والاستسلام والضّعف؛ فالكتب بوصفها تمثيلاً عرفيّاً وصيغة مجازيّة للحقيقة التّاريخيّة، كما يظهر، لا يجب الوقوف فيها على ما تمليه العواطف والتخّيلات ولا تحققه الإمكانات والوقائع، لأنّ التّاريخ حينئذ سيتحوّل إلى طاقة تخديريّة تُفقد معها القدرة على التّحكم بالحاضر أو تسهم في فقدانه، وإذا كان للتّاريخ شطران؛ ماضٍ وحاضر، فإنّ الحضور والكثافة والأهميّة تنعقد بالحاضر، ومن ثمّ لا بدّ من وجود حدّ أثيريّ بين الماضي والحاضر، بحيث لا يتّصلان اتّصالاً مطلقاً ولا ينفصلان انفصالا مطلقاً، وبذلك يتمّ خلق نوع ممكن من التّناسب الفكريّ بين الماضي والحاضر، يجعل المشكلات المعيشة حاليّاً في صلب ما يستوجب الحاضر من اهتمام وموقف وإنجاز، فإعادة الحديث عن إنجازات الأسلاف يبقى في طور المتخيّل والمأمول الذي لا يغيّر واقعاً، لذلك صارت فلسطين مثالاً شعريّاً وتاريخيّاً حيّاً عن طريقة التّفكير في التّاريخ، لأنّها ليست مسألة فرديّة أو شخصيّة، بل بوصفها مشكلة أمّة بأكملها تتقاسم مشتركات الماضي والحاضر وعياً وذاكرة ولغة.

ثانياً: التّاريخ/ الامتداد والدّيمومة:

يدخل نزار مع هذا النّص إلى مجال على درجة عاليّة من الخصوصيّة التي تمسّ جانب المعرفة التي يحملها التّاريخ، فتنفتح الرّؤية الشعرية على بعد آخر يتمثّل في قراءة التّفاصيل من خلال الأشياء التي تعدّ إحدى مكوّنات مادّة التّاريخ وشاهداً عليه، كما سيظهره النّص، إذ إنّ التّوجيه الرّمزيّ الذي تتمحور عليه هذه الرّؤية يمتدّ من مفردات شديدة الخصوصيّة في مكوّنها الفرديّ إلى سياقها العام أو من الحاضر إلى الماضي، فتمرّ على مسائل تتّصل بالجوانب الدّينيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة، ومع تعدّد مصادر هذه الجوانب زمنيًّا وموضوعيّاً، إلّا أنّها تحمل المساق نفسه، الذي لم يتغيّر جوهره مع تبدّل المؤثّرات الزّمنيّة؛ فالمجال الفلسفيّ الذي تعبّر عنه يفصح عن استمراريّة وديمومة لسلسلة تاريخيّة معيّنة لم تفارق جذره الأبعد في لا وعي الجماعة

(1) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 421.

الممتدّ من الجاهليّة بوصفها دالّة زمنيّة ومعنويّة إلى حدّ الآن، إذ يحافظ هذا النّسق على استمرار سلطته الفكريّة، التي نستدّل عليها من تجلّياتها الثّقافيّة المتنوّعة، وتلك التجليّات ((تحوّل مُنتَج التّاريخ والزّمن إلى قيم تتميّز بالثّبات والدّيمومة واللازمن))[1] فعندما تتحوّل مادّة التّاريخ إلى ثقافة؛ فإنّها تكتسب قدرة على تلافي ظرفيّتها وزمنيّتها، وهي بذلك تقدّم ترتيباً فكريّاً وليس ترتيباً زمنيّا للتّاريخ، يقضي باستمرار التّاريخ وعدم تحقيبه وجعله عصوراً لها أسماء ومكونات ثقافيّة منفصلة عمّا قبلها وما بعدها، إنّما يكشف أنّ التّاريخ الذي يشير إليه الخطاب هنا، يسيل مع الزّمن من دون أن يختلف من عصر إلى عصر، لأنّه محمول اجتماعيّ ونفسيّ، وبذلك يدلف من جيل إلى الذي يليه ثم الذي يليه باستمرار، وهذا ما يتّضح من قوله:

((أفتح تاريخ أبي..
أفتح أيّام أبي..
أرى الذي ليس يرى
أدعية... مدائح دينيّة
أوعية.. حشائش طبيّة
أدوية.. للقدرة الجنسيّة
أبحث عن معرفة تنفعني
أبحث عن كتابة تخصّ هذا العصر.. أو تخصّني
فلا أرى حولي سوى رمل.. وجاهليّة))[2]

فمادّة التّاريخ التي تمثّلها الثّقافة هنا لها امتدادات إلى جوانب شتّى تستعصي على التّغيّر؛ لأنّها تحتمي بالمعتقد والوجود الحيويّ والاجتماعيّ؛ لذلك يبقى نمط الوعي، الذي يمثّل نسقاً تاريخيّاً بعيداً، حاضراً في ذهنيّتنا الآنيّة، فالدّلالة التي يحدّدها الخطاب الشعريّ لمعنى التّاريخ، هي امتداده وديمومته واستمراره، فإذا كان (تاريخ الأب وأيّامه) تصويراً شعريّا لتلك الفلسفة؛ فإنّها من حيث المعنى أقرب تمثيل لحاضرٍ ما زال حافلاً وحاملاً لما ينتمي لعصور خلت، وفي هذه الحال يبدو الصّوت الذي يمثّل

([1]) سيميائيّات النّصّ، مراتب المعنى: سعيد بنكراد، دار الأمان – الرّباط، ط1، 2018م: ص60.
([2]) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 251.

اللحظة التّاريخيّة الرّاهنة ويعبّر عنها خافتاً؛ لأنّه يفقد خصوصيّته بهذا الامتداد المألوف للماضي، وهذا يشير من الزّاوية الدّلاليّة الأخرى إلى نقد افتقار الحاضر إلى ما يميّزه فكريّاً؛ فلكي نرصد التّحول التّاريخي نحتاج معرفة تنبني على ظرفيّة جديدة ونسق مختلف، يكوّن فيها الحاضرُ- من حيث التّفكير والفعل والمعنى- أساساً حديثاً للتّاريخ؛ لا ينسخ الماضي، بل يعْبر ممّا كان إلى ما يمكن أن يكون.

إنّ امتداد التّاريخ وديمومته يخلقان منه قوّة تصعب مقاومتها، لأنّها على توافق مع المجال النّفسيّ والمعرفيّ للمجتمعات، فعندما يلتصق الماضي بشّعور النّاس ومعرفتهم على نحو دائم، فإنّه يدخل في بناء الحاضر ويخضعه لنسقه ومظهره، لأنّ الحاضر يصير عندئذ جزءاً من كيان الماضي؛ أي أنّ التّاريخ بلحظته الرّاهنة في ولادته الآنيّة زمنيّاً، لا يبدأ من لا شيء، بل يبدأ ومعه إرث كبير من الأفكار والمعتقدات والتّصوّرات، التي يمكن أن تحافظ على سيرورتها وتهيمن على الحاضر، لأنّها لا تسمح بنموّ ما يخالفها على نحو فرديّ، فصلابتها وديمومتها تأتي من كيانها الجمعيّ المتناسل، الذي يلتفّ على كلّ ما يخالفه ويضعه في نسقه ومادّته؛ فالنّصّ ينطوي على مقارنة دائبة بين ما ينقله الماضي وما ينجزه الحاضر ((فما نبحث عنه في معرفة الماضي، هو نفسه ما نبحث عنه في معرفة النّاس الحاليين))[1] فتبدو عمليّة قطع سلسلة امتداد التّاريخ وإحداث صدع في ديمومته أمراً غير ممكن الحدوث، لاستمرار أسبابه الماديّة والفكريّة، كما يرد في النّصّ الآتي:

((يا رحماً.. يحبل بالشّوك وبالغبار
حاولت أن أقلعكم
من دبق التّاريخ..
من رزنامة الأقدار..
ومن (قفا نبك)..
ومن عبادة الأحجار..
حاولت أن أفكّ عن طروادة حصارها،

([1]) العلوم الإنسانيّة والفلسفة : لوسيان غولدمان، ترجمة: يوسف الأنطكي، مراجعة: محمد برادة، المجلس الأعلى للثّقافة – القاهرة، ط1، 1996م: ص53.

حاصرني الحصار..))[1]

فالتّاريخ يبني سلطته ويقوّيها باستمرار زمنيّ من خلال التّراكم وتحوّل النّمذجة؛ أي أنّه يحافظ على كيانه الأصلي حتّى إن اتّخذ أشكالاً وصوراً مختلفة من زمن إلى آخر. والمعنى المطروح هنا لا يقول بوجود مقاطعة أو قفزات نوعيّة تغيّر مجرى التّاريخ خلال هذا الامتداد الزّمنيّ الطّويل، بل تبيّن محافظة الماضي على صموده أمام محاولات كسر سيرورته النّمطيّة المؤثّرة، إذ نلحظ أنّ الفلسفة التي يحملها الخطاب تجعل الماضي أنموذجاً أعلى للحقيقة التّاريخيّة لا يمكن اختراقه.

ويكون التّاريخ شديد الحضور والفاعليّة والامتداد إذا ما تهيّأت معطيات أيديولوجيّة تجعل منه حقيقة نهائيّة لا يمكن القفز عليها، وبذلك يُنظر إلى التّاريخ على أنّه يسير بخطّ واحد لا يخرج عن مثاله الأوّل ولا يتيح التّنوع والاختلاف والتبدّل، ولا يقبل الانزياح والتّطوّر؛ فاستعمال أمثلة من التّاريخ العربيّ الإسلاميّ بشقّه السّياسيّ يدلّ على أنّ تاريخينا ما زال يشتغل في دائرة الفعل التّاريخيّ نفسه، الذي يجسّد أنّ الأفعال التي سجّلها التّاريخ ما زالت تحافظ على ديمومتها بوصفها نُسخاً تتكرّر مع الزّمن، وتؤكد الطابع التعاقبي للتّاريخ[2] ؛ ويمكن تمثيل ذلك بالإشارة إلى حوادث ووقائع متباينة زمنيّاً لكنّها متوافقة فكريّاً باعتمادها المبدأ التّاريخيّ نفسه، وينطبق هذا على عموم ما يُنتج تاريخنا السّياسيّ، إذ يتبيّن لنا أثره وامتداده، من خلال هذا التّعبير:

((وكم من إمام ذبحناه وهو يصلّي صلاة العشاء

فتاريخنا كلّه محنة..

وأيّامنا كلّها كربلاء))[3]

إنّ الأبعاد الفلسفيّة التي يؤشرها الخطاب الشّعريّ في هذا الموضع يكشف عن هيمنة النّزعة السّياسيّة على الحدث التّاريخيّ الخاص، مما يجعل الفعل التاريخي قائماً على رغبة سياسيّة تمزج التّاريخيّ بالدّينيّ والفكريّ، فالتّاريخ الذي يعنيه الخطاب هو تاريخ سياسة وسلطة، والمجال الفلسفي الذي نعاينه ينعكس على رؤية الحاضر من

([1]) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 305-306.

([2]) نقد الأفكار الأدبيّة: أدريان مارينو، ترجمة: محمد الرّامي، مراجعة وتقديم: سعيد علوش، المشروع القوميّ للتّرجمة (ع1148) الهيئة العامّة للمطابع الأميريّة – القاهرة، ط1، 2008م: ص 237.

([3]) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 355.

خلال مطابقته للماضي، ليس من حصول حدث بعينه، ولكن من خلال استراتيجيّة بعينها تنبع من فلسفة متوارثة في إدارة التّاريخ. ومع تغيّر ظرفيّة التّاريخ من حيث الزّمن والأدوار، إلّا أنّ النّسق الفكريّ والمعنويّ الذي يدلّ عليه النّصّ لم يشهد تغيّراً، الأمر الذي يُظهر امتداده وديمومته نفسها.

ثالثاً: التّاريخ/ الرّفض والتّجاوز:

إنّ فلسفة التّاريخ التي ينتجها بناء الأفكار يتمخّض عن مفهوم مركّب للتّاريخ عند نزار، فقد يتراوح بين الرّفض والقبول، فما يُرفض يتعلق بإرادة التّجاوز ضرورة، إلّا أنّ التّجاوز قد يتحقّق أو لا يتحقّق؛ فهو متوقّف على الظّروف التّاريخية التي قد تهيّئ ما يسهم في تحقيقه فعليّاً، ومع ذلك فالتّجاوز بوصفه فكرة تقع في صميم الرّؤية الشّعريّة التي تبتغي خلق أنساق تلائم طبيعة المعطى التّاريخيّ وتتوافق مع متطلباته الفكريّة، لأنّ مبدأ صناعة التّاريخ قائم على رفض الحاضر وتجاوزه؛ فالرّفض في هذا السّياق يبدأ من الواقع المتمثّل برفض الاستعمار الأجنبيّ، إذ إنّ الواقعة النّاتجة عن الاستعمار بجوهرها السّياسيّ التّاريخيّ لها من يرفضها؛ فالممارسات التي يقيمها الاستعمار لتنفيذ سلطته يبتغي من خلالها حجب بشاعة سلوكه واستعمال أنظمة عقاب قاسية يضعها في سياقات تبرّر تلك الممارسات؛ إلّا أنّ تلك الوقائع لا تندثر لأنّها تتحوّل إلى مادّة ينصبّ عليها اهتمام التّاريخ، والنّصوص الأدبيّة تستفيد من تلك الأحداث فتنتج منها أشكالاً رمزية، فالشّعر بوصفه أنموذجاً خطابيّاً لغويّاً، يضاعف تلك الرّموز ويعدّد مدلولاتها، لأنّه يسطو على الوجوه المختفية عن الحقيقة؛ وهذا يعني أنّ ((السّياق المعرفيّ يحدد الشّروط (...) التي يمكن أن تنتج فيها النّصوص، وتفهم وتخزّن وتحفظ ويعاد إنتاجها))[1] فالصّورة التي يلتقطها الشّاعر للحدث تحمّل مادّة معنويّة ذات بعد فلسفيّ يبنى على معرفة بتشكّل التّاريخ وصيرورته، والذي نجده في هذا النّصّ يكشف عن إرادة رفض باتّ للاستعمار، وإصرار على تجاوزه والانعتاق منه، إذ يرد هذا المعنى من تكثيف التّاريخ باستعارة المجال الرّمزيّ الذي يحيل إليه اسم (بوحيرد) وفعلها، بقول الشّاعر:

([1]) نظريّة الأدب في القرن العشرين: ترجمة وإعداد: محمد العمري، إفريقيا الشّرق – المغرب، ط2، 2004م: ص 78.

((الاسم: جميلة بوحيرد
تاريخ ترويه بلادي
يحفظه بعدي أولادي
تاريخ امرأة من وطني
جلدتْ مقصلة الجّلاد))[1]

فهي أيقونة تعبّر عن ضرورة التّجاوز وصناعة تاريخ جديد؛ فالشّخصيّة التّاريخيّة ليست تلك التي تمرّ في الزّمن من دون أثر، ولكنّها التي تكوّن من فعلها حلقة جديدة لإنتاج المعنى، فما فعلته هذه الشّخصيّة يمكن تعيينه ووصفه لقابليّته على الاقتران بدالّة لغويّة تربطه بالتّاريخ؛ وعندما يرتبط الحدث التّاريخيّ بغاية معيّنة فإنّه يستند إلى فاعل يهيّئ أسباب فعله، وهذا يعني أنّ الرّفض هو عتبة التّجاوز وعلّته. وهذا النّصّ يعزّز فعل الرّفض بجلب الحدث الذي يعرّي المرفوض ويكشف حقيقته، ويؤسّس للتّجاوز بوصفه الغاية التي ينبغي الانتهاء إليها.

إنّ الدّالة الشّعريّة التي يبني من خلالها نزار فهماً للرّفض والتّجاوز لا تقف على الاستعمار فحسب، ولا تتناول جانباً واحداً من جوانب التّاريخ الزمنيّة؛ فنجد أنّه يجمع الماضي والحاضر والمستقبل في بؤرة واحدة للنّص، ترتكز على نقد النّمط السّائر في التّجاوب مع الواقع والتّاريخ، الذي يأخذ الماضي والمألوف بخمول ويقين، وترفضه بوصفه عائقاً يستحوذ على نشاط التّاريخ والفكر، ومن ثمّ يؤدي إلى التسليم بكلّ ما يقدمه لنا التّاريخ بطريقة جاهزة. إذ لا يوجد في النّصّ الآتي ما يشير إلى رفض قضيّة محدّدة من التّاريخ، فالسّياق الذي نستنطقه يبيّن أنّ الفكرة التي يرفضها هي فكرة الرّكود الذي يصيب التّاريخ كليّة، من حيث زمنيّته وظرفيّته ومادّته، إذ يصبح التّاريخ نفسه آنذاك عقبة نفسيّة وفكريّة أمام ضرورة التّحوّل التّاريخيّ؛ فالتّجاوز يقتضي رفض ذلك ونقضه وعدم الانحناء له، والوسيلة التي يضعها الشّاعر سبيلاً لذلك تتطلب جيلاً يقلب معادلة التّاريخ فكراً وواقعاً، فيغيّر المبدأ الذي يقوم على الاستمرار والاستقرار وينقله إلى حال والإنجاز، ويظهر ذلك من قول الشّاعر:

([1]) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 57.

((نريد جيلاً غاضباً
نريد جيلاً يفلح الآفاق
وينكش التّاريخ من جذوره
وينكش الفكر من الأعماق
نريد جيلاً قادماً مختلف الملامح
لا يغفر الأخطاء ... لا يسامح
لا ينحني.. لا يعرف النّفاق..
نريد جيلاً، رائداً، عملاق...))[1]

يحتاج استشراف المستقبل والانطلاق إليه إقلاعاً عن النّظرة الرّوتينيّة للتّاريخ النّاتجة عن ربطه الدّائم بالماضي، الذي يوصف بأنّه حال مثلى تقبل المحاكاة ولا تقبل التّجاوز؛ ففلسفة التّاريخ هنا قائمة على رفض الفكر الذي يوجّه الحياة السيّاسيّة والاجتماعيّة عامّة، إذ إنّ التّجاوز هنا مشروط بفعل البطولة الذي يرتسم في الصّورة الشّعريّة التي تحمل الوعي برفض الانخراط التّلقائي في النّسق القديم والذّهاب إلى تجاوزه، وبالوصف الذي يقدّمه النّصّ ثمّة فلسفة لتأسيس نسق يخصّ الحاضر على أساس المغايرة والاختلاف والتجديد بمعانيها الثّوريّة الخلّاقة. إنّ الواقع الذي من الممكن أن ينتجه التّجاوز يتحقّق في رؤية الشّاعر من خلال الصيغة التي يريدها لعصره، وهو في الأغلب ينظر بشيء من عدم الرضى عن واقعه[2] فيرسم أفقاً واعداً للمستقبل تؤّمنه إقامة التّاريخ على الرّفض والتّجاوز.

وفي مقام الرّفض والتّجاوز فإنّ تغيير معطى التّاريخ لا تكفيه الرّؤية المجرّدة، بل يحتاج إرادة قويّة يكون معها التّجديد والتّحوّل والقفز على الواقع ممكناً؛ فالمرحلة التي تفصل المرفوض عن المأمول يوجدها نوع معيّن من الأشخاص لهم من الإرادة والفعل ما يجعلهم أكثر قدرة على التأثير في التّاريخ، والشّاعر يأتي بما يعزّز فلسفته في ذلك بإحالته أيّ تصوّر عن نشوء التّاريخ وحقيقته إلى فاعلين متميّزين، لأنّهم يسيّرون دفّة التّاريخ ويغيّرون سبله ((فإذا كانت معرفة التّاريخ تمثّل أهميّة عمليّة

(1) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 95.
(2) ينظر: أسئلة الشّعريّة: ص 92.

بالنّسبة لنا، فلأنّنا تعرّفنا، من خلالها على أناس، دافعوا (...) عن قيم ومثالات مماثلة شبيهة أو معارضة لتلك التي نتوفّر عليها اليوم))[1] وتفاعلوا مع ظروفهم التّاريخيّة على نحو غير معتاد، بحيث أنّهم صوّروا لنا أنّ التّاريخ ناتج عن فعل الإنسان أثناء مقاومته للزّمن ومجاوزته لظرفيّته، والنّصّ الآتي يعطينا هذه الرّؤية:

((من جراح المناضلين ولدنا
ومن الجراح تولد الكبرياء
قبلهم؟ لم يكن هنالك قبل
ابتداءُ التّاريخ من يوم جاؤوا..))[2]

يجري السّياق الذي ينسجم مع الفلسفة التي يطرحها النّصّ عن التّاريخ حواراً شعريّاً بلغة من الرّفض والردّ بين الماضي والحاضر، وبين ما هو كائن وما يجب أن يكون، تمثّل الحقيقة التّاريخيّة فيه فكرة موصولة بالفعل؛ فمن حيث الفكرة يحضر التّاريخ في النّصّ بوصفه مجالاً رمزيّاً ودلاليّاً، أمّا على مستوى الفعل فهو ماثل في معنى التّجاوز الذي يؤكّد حقيقة الوجود التّاريخيّ.

إنّ الحقيقة في التّاريخ قد لا تكون هي الحقيقة التّاريخيّة نفسها، لأنّ الحقيقة في التّاريخ ليست مطلقة، وذات طبيعة منهجيّة وسياسيّة، والصّراع على انتزاع تلك الحقيقة يؤكّد لنا أنّها نسبيّة أو في محلّ شكّ إلى حدّ كبير، وعلى العكس من ذلك تكون الحقيقة التّاريخيّة ثابتة بالأدلّة والشّواهد المادّية والمعنويّة؛ فمن البداهة القول أنّ التّاريخ يتوافر على قدر كبير من المغالطات والأغاليط؛ فالقوّة بإمكانها أن تسحب الحقائق إلى النّقطة التي تريدها في التّاريخ، بمعنى أنّها تحاول نقل الحقائق الرّاسخة إلى دائرة الشّكّ لتصبح محلّ نزاع ثمّ تتمكّن من تبديل معالمها وتاريخها؛ والنّصّ الذي نتحدّث عنه يلوّح إلى ما فعله الإسرائيليّون من تغيير في الحقائق المتعلّقة بفلسطين وغيرها، فهم يجعلون التّاريخ جزءاً من إدارة الصّراع على الوجود، إذ أعادوا توزيع خارطة الأدوار والأسماء بلغة مختلفة تعيد فهم التّاريخ بما يتناسب مع طموحهم السّياسيّ، والنّص يشير إلى ذلك برفضه؛ يقول الشّاعر:

([1]) العلوم الإنسانيّة والفلسفة: ص53-54.
([2]) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 410-411.

((نأتي.. لكي نصحّح التّاريخ والأشياء..
ونطمس الحروف في الشّوارع العبريّة الأسماء..))[1]

من هنا يجوز القول أنّ الرّفض والتّجاوز يتعلّق بماهيّة الحقيقة التّاريخية وضروراتها وتجلّياتها، فما يحمله النّصّ من فلسفة ومعنى مبنيّ على رفض كلّ ما تمّ تبديله وتغييره من الحقائق التّاريخية، وتجاوزه إلى ما يُرجع تلك الحقائق إلى نصابها، ويعيد الدّلائل إلى سياقاتها التّاريخيّة والمعنويّة الأولى، كما يبدو أنّ الدّالة الزّمنية في هذا التّصور لا تقل أهميّة عن الدّالة الفكريّة لأنّ كثيراً من الشّواهد التّاريخيّة الماضية تقاوم الزّمن بانفتاحها المعنويّ على الحاضر، فلا تقبل إلّا وجها واحداً للحقيقة، كالمأثورات والاستعمالات اللغويّة والموجودات، وهذا ما يقدّم دليلاً على أنّ توتّرات التّاريخ وضروراته وصراعاته تقتضي الاحتجاج والرفض والتجاوز.

رابعاً: التّاريخ / الحركة والسّكون:

إذا ما سلّمنا بنظريّة التّاريخ التي تأتي بها بعض الرّوايات والمأثورات، فإنّ المادّة التّاريخيّة قد تعبّر عندئذ عن نظرة عرفانيّة استشرافيّة تؤمن بها العقول على النّحو الذي تصدّق فيه الوقائع الفعليّة النّاجزة نفسها، والخطاب التّاريخي بعامّة فيه كثير من الأقوال التي تعني أنّ الزّمن الذي يؤطّر حياتنا له مآل واحد، لا مناص من الوصول إليه، وهو الذي يحسم حقيقة وجودنا مستقبلاً، لأنّ الاعتقاد يحمل النّاس على أنّه آتٍ حتماً، من دون أن يفكروا بمنطقيّته وصيرورته وسببيّته. وبما أنّ هذه الرّؤية تتخلّل واقعنا، وتدخل صلب قناعاتنا لارتباطها بوعينا فإنّها تقودنا إلى تصوّرات سكونيّة عن التّاريخ، ترى أنّ إرادة الإنسان محدودة أو معدومة في قابليّته على تحريك التّاريخ. وقد اختار نزار الفكرة المركزيّة (بانتظار غودو) معادلاً تصويريّاً ودلاليّاً لتلك الرّؤية، لأنّه يعارض الفلسفة التي تضع التّاريخ على خطّ أحاديّ ساكن، كما أنّه لا يؤيّد المسار الحتميّ الذي يتناقض مع مواقفه وفلسفته، فيُخضع كلّ ذلك لمساءلة شعريّة؛ والنّصّ الذي نتحدّث عنه يتفقّد الرّؤية التي تقيّد حركة التّاريخ بتقييد حركة النّاس، إذ تحيل مهمّة تغيير ما هم عليه ظرفيّاً وواقعيّاً إلى فاعل خارجيّ، له وجود متعالٍ تتم

(1) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 198.

الاستجابة له عن إرادة أو لا إرادة بوصفه تمثيلاً رمزيّاً لما هو آتٍ، ويمكن إدراكه من خلال الملفوظ ((حيث الإسناد إلى الرّمز يجسّد في ملفوظ خطاب التّعالي الحداثيّ، حالة وحيدة، هي تعالي الأنا المتلفّظة على العالم الضّروري أو الواقعيّ، في إمكانيّة العلو أو التّعالي الرّمزي))[1] والتّاريخ على وفق ذلك مرتبط بمادّة خطابيّة من موارد دينيّة أو أدبيّة، وليس مرتبطاً بحقيقة ظرفيّة تجريبيّة؛ فالموضوعة الشّعريّة هنا لا ترفض تلك الحقائق التي نلمحها في نسيج النّصّ، ولكنّها تناقش انزياح الوعي الذي يحجب التّاريخ عن واقعيّته وسيرورته، فتذهب بعض الآراء إلى مزج الحقيقة الدّينيّة والأدبيّة في صورة واحدة، يكون فيها التّاريخ موضوعاً ما ورائيّاً وقدريّاً، وهذا ما تحاول فلسفة النّصّ رصده ونقده ونقضه، وتتّجه إلى إثبات رؤية أخرى يكون فيها الفاعل البشريّ أساساً لحركة التّاريخ. إذ يضمّ النّصّ سياقات تقيم جدليّة بين هذا الوجه وذاك[2] تبدأ بتصوير حالة التّماهي التي يفقد من خلالها الإنسان وجوده الطبيعيّ فيتحوّل من فاعل في التّاريخ إلى مفعول له، فثمّة فرق بين سيرورة الزّمن وسيرورة التّاريخ؛ فسيرورة الزّمن طبيعيّة كونيّة لا دخل للإنسان فيها، بينما سيرورة التّاريخ من طبيعة بشريّة، وعلى ذلك فإنّ حركة الإنسان وفعله وحيويّته هي ما يجعل التّاريخ متحرّكاً ومتغيّراً ودالّاً، فالانتظار ينطوي على ايقاف حركة الأفعال أو ما يدلّ عليها، ومن ثمّ يعني توقّف التّاريخ. فالفاعل الخارجيّ الذي ننتظره لن يغيّر واقعنا، لأنّ وجوده الآنيّ معنويّ ورمزيّ، وليس وجوداً حقيقيّاً أو ظرفيّاً، وانتظار (القدر) يحتمل شيئاً من اللامنطقيّة واللاجدوى، لأنّ العلاقة بيننا وبينه علاقة افتراضيّة وليست سببيّة، فربّما يأتي أو لا يأتي، يقول الشّاعر في ذلك:

((ننتظر القطار
ننتظر المسافر الخفيّ كالأقدار
يخرج من عباءة السّنين
يخرج من بدر..

(1) ما الخطاب؟ وكيف نحلّله؟: عبدالواسع الحميري، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر – بيروت، ط1، 2009م: ص275.
(2) ينظر: الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 285 إلى 290.

من اليرموك..

من حطّين..

يخرج من سيف صلاح الدين..

من سنة العشرين

ونحن مرصوصون في محطة التّاريخ

كالسّردين..))[1]

يصوّر النّصّ حالة توتّر وسكون يطرحها إحساس ناشئ عن انتظار الفاعل الخارجيّ، الذي يبقيه النّصّ مجهولاً ولا يسمّيه، ولكنّه يعرض إحدى لوازم المعنى الذي يصير إليه بالدّلالة على الاحتمال وعدم اليقين، وقد مثّلها النّصّ بـــ (ننتظر المسافر الخفي كالأقدار) وهذه النّظرة تبيّن تحييد الفعل البشري وإيقافه مما يعني إيقاف التّاريخ، وبذلك لا بدّ من حضور فاعل استثنائي يتفوّق على القدرة البشريّة يؤدي الفعل نيابة عن الإنسان فيزحزح التّاريخ عن سكونه. وبموازاة النّموذج القدريّ للفاعل ثمّة نموذج بشريّ للفعل يحرّك التّاريخ عن إرادة واختيار، يستعير صورته من المنجز الذي أنتجه تاريخ رجالات الإسلام في حقبه المختلفة، إذ يرى الحقائق التّاريخيّة رؤية واقعيّة تقوم على الفعل الخلّاق الذي يحرّك التّاريخ ولا يحيله إلى ما ليس منه، فالشّاعر يميل إلى فلسفة تفسّر التّاريخ باستعماله دلالات بدر واليرموك وحطّين وصلاح الدين، واقعيّاً وظرفيّاً، بتكثيف الصّور التي تعبّر عن ذلك. والشّعر بوصفه نموذجاً خطابيّاً يقوم على التّركيز يبرهن على الحقائق التي يطرحها من زاوية تصويريّة وتعبيريّة خاصّة، إذ ((يتناول هذه الأشياء نفسها بطريقته الفنيّة التّصويريّة بحيث لا يلتزم البراهين المنسّقة ولا الجدل التّام، ولا التّفصيل العريض، وحسبه أن يوجز القول مكتفياً بأهمّ عناصره معتمداً على نباهة القارئ الذي يدرك المحذوف ثم يعنى بالنّاحيّة الخياليّة يتّخذ منها صوراً تلائم غايته (...) وربّما اتّخذ منها براهين خطابيّة لقصد التّأثير))[2]، فتؤكّد هذه الدّوالّ أنّ التّاريخ ليس قابلاً للحركة والصّيرورة

(1) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 281-282.

(2) تاريخ الشّعر السّياسيّ إلى منتصف القرن الثّاني: أحمد الشّايب، دار القلم – بيروت، ط5، 1976م: ص5.

من دون الفعل البشريّ الذي يضع الحقيقة والحقّ في نصابهما من دون أن يفصل في ما يريده من تلك الدّوال.

إنّ الحدث الذي يأخذ التّاريخ من الحركة إلى السّكون يرتبط بسلطة الأفكار التي تأتي من الماضي، فتعمل على وضع الإنسان في قالبها، إذ يتحوّل معها الوعي من خلال بنيويّة تاريخيّة إلى حالة من اللاوعي يشعر من خلاله المرء بضآلة ما يمكن أن يفعله، ولذلك يقف عاجزاً أمام الحاضر، لأنّه يعتقد أنّ تغييره موكول بما يتفوّق على قدرته وإرادته فيستسلم لقدره، عند ذاك يتوقّف التّاريخ عند النّقطة التي تُفقد فيها السّيطرة على الوعي والفعل، فحركة التّاريخ في هذا السّياق ليست شيئاً آخر سوى حركة الفعل الإنسانيّ في تحوّلاته الزّمنيّة، على وفق ما جاء في النّصّ:

((فنحن محبوسون في محطّة التّاريخ كالخرفان

أولادنا ناموا على أكتافنا..

رئاتنا، تسمّمت بالفحم والدّخان))[1]

إنّ العلاقة التي يبنيها النّصّ بين مفردات التّاريخ تجمع الإرادة والفعل والزّمن، إذ إنّ تفكّك هذه العلاقة يسهم في نقل التّاريخ من مجاله الواقعيّ الذي يتغيّر مع كلّ حدث إلى المجال اللاواقعيّ الذي يعطّل الفعل ويوقف الزّمن، بحيث تتحوّل الدّالّة الزّمنيّة من دالّة ماديّة حسيّة تعرف بها الأفعال، إلى دالّة نفسيّة رتيبة، وهذا يعني تحوّل التّاريخ إلى حالة من الرّكود واللاصيرورة؛ فالانتظار هو زمن فارغ من الأفعال، والفلسفة التي ينظر بها الشّاعر إلى تاريخٍ بهذا الوصف على أنّه عبثيّ أو بلا معنى، لأنّه يربط حركة التّاريخ بما لا يجعله يتحرّك. والنّماذج التّصويريّة والدّلاليّة التي يبنيها النّصّ جميعاً عن هذا التّصوّر تشير على نحو مركزيّ إلى نقد الفكر الذي يخرج الإنسان عن تاريخيّته وبشريّته باستعمال نسق من الصّور والدّلائل والتّأكيدات، فالنّسق يصير ((مكوناً من دوالّ مترابطة فيما بينها حسب بنية مدلول مركزيّ، لمّا كانت ترابطاته هي نفسها من التّسلسل المنطقيّ بحيث يمكن لدالّ من هذا النّسق أن يصبح كناية عن

(1) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 79.

المجموع))[1] وقد أدّى نسق الانتظار دوره المعنويّ والتّكوينيّ فجمع ما ورد في موروثنا عن قصّة الانتظار مع الرّواية العبثيّة (انتظار غودو) على سبيل المشابهة والمشاكلة، ليدلّل من خلالهما على خواء النّظرة السّكونيّة للتّاريخ، لأنّ طول الانتظار لم يتمخّض عن نتيجة حقيقيّة.

خامساً: التّاريخ/ الموجود والمفقود:

إنّ المنزلة الأساسيّة للتّاريخ نابعة من قيامه على الماضي الذي يتّصل بالوقائع التي تخصّ الإنسان قولاً وفعلاً، إذ لابدّ ممّا يبقي صلة الإنسان بماضيه قائمة، فهويّته لها جانب تاريخيّ، وإذا ما فقد تاريخه فقد جزءاً مهمّاً من هويّته وكيانه الوجوديّ؛ والتّاريخ في هذه الحال لا يعبّر عن الوجود الفرديّ للأشخاص عندما ينفصلون عن مجموع الأشخاص الذين يرتبطون بهم تاريخيّاً، بل يمثّل الإنسان وهو ينتمي إلى جماعة يتقاسم معها هذا التّاريخ، ويسهم في عدم فقدانه؛ فالتّاريخ بهذا المعنى لا يعني أن نحفظ الأثر النّصّيّ الذي ينقل لنا ما مضى، بل يقصد به تشرّب الصّورة المُثلى للماضي بوصفه وعياً وقيماً ووقائع يجري تمثيلها في الحاضر.

يقيم نزار فلسفته الشّعريّة على قضايا وجود التّاريخ أو فقدانه من خلال وعينا بقيمته، لأنّ معرفة أهميّة ذلك التّاريخ قد تأتي من وجوده الذي يثبت وجودنا وحضورنا، أو من فقدانه الذي يبيّن ضمورنا واختلال حاضرنا؛ وتتجلّى مظاهر تلك الفلسفة بمواقف شعريّة شتّى يُظهر كلّ منها جانباً من تلك الرّؤية، التي لا تنصبّ على مجال معيّن من المجالات التي يهتمّ بها التّاريخ، إنّما تؤكّد ضرورة وجوده على نحو عام. فيربط الشّاعر قضيّة وجود التّاريخ بما نعيشه من أحداث تجسّد تمسّكنا بماضينا، إذ نجد أنّ التّاريخ في نموذجه الذي يشير إلى هو الحقيقة التي ليس علينا أن نفقدها، فالذين يحملون مسؤوليّة التّاريخ ويتمثّلون وجوده يجب أن يجسّدوا ذلك الارتباط به باستحضاره وعياً وفعلاً ورمزاً، إذ تُفقد دالّة الانتماء من دونه، فيتبيّن ذلك المعنى من خلال الآتي:

((إن كان من ذبحوا التّاريخ هم نسبي

([1]) خطاب مقيّد: فيليب هامون، ضمن: الأدب والواقع، ترجمة عبدالجليل الأزديّ و محمد معتصم، منشورات الاختلاف – الجزائر، ط1، 1992م: ص76.

على العصور، فإنّي أرفض النّسبا..))[1]

يرد هذا البيت في السّياق الذي يقيم فيه الشّاعر موازنة بين المتضادّات التّاريخيّة، أي بين التّاريخ من حيث ماضويّته أو ما حمله له لنا من عوامل تأكيد الذّات والهويّة؛ متمثّلة بشخصيّات تاريخيّة لها سَمْتُها وفرادتها في صناعة التّاريخ، وبين مظاهره المعاصرة بما تحمل من خيبات تمسخ ذلك الماضي، والنّصّ الشّعريّ برمّته يصوّر ذلك التّصور[2]، إذ يجمع التّاريخ في نسختين متناقضتين من المعنى تضع القديم بموازاة الحديث للمقارنة والتّمييز والحكم، فالأشياء التي لا تبدو منسجمة تصويريًّا ودلاليّاً قد تكون ذات معنى في الشّعر[3] فالجانب الأوّل للصّورة الشّعريّة يعبّر عن رفض الإخلال بصورة التّاريخ وقطع الصّلة به، لأنّه يعدّ خرقا لميثاق النّسب والانتماء، بينما يمثّل الجانب الثّاني لها إثبات علاقته بالتّاريخ، وجعله مكوّناً من مكونات شخصيّته، وكلا المعنيين يعبّر عن أهميّة وجود التّاريخ وحضوره.

إنّ إلغاء التّاريخ أو تغييبه هو جزء من محاولة تغيير طبيعة الإنسان وعمل لحرمانه من وجوده، لأنّ التّاريخ هو الإطار الذي يحتوي الوجود الماضي والمسار الذي يتخلّله، فمن خلال التّاريخ ندرك ما كنّا عليه وما يجب أن نكون، وعملية تفتيت الوعي والوجود تبدأ بعمليّة تفكيك التّاريخ، إذ يلتفت نزار إلى تلك القضيّة التي تعتمد تراتبيّة وعناية في تغيير أصل الوجود من خلال محو وجه التّاريخ، فيصوّر ما فعله الاحتلال والاستعمار لإزالة تاريخ الشّعوب المستعمرة من أجل إزالة وجودها، وبهذا ((يكون الاستعمار قد خرّب ركيزة أساسيّة من ركائز الهويّة، وأسّس لعلاقة جديدة بالمجتمعات الأصليّة تقوم على مبدأ الخضوع ثم التّبعيّة، وتأدّى ذلك عن تغيير في نسق العلاقات كلها، فتأسس وعي مغاير بالتّاريخ وبالهويّة، أريد منه إحداث قطيعة مع الماضي))[4] لأنّ الاتّصال بالماضي لا يسمح بمرور الأفكار التي من شأنها خلق وعي مخروم يفقد من خلاله الإنسان تاريخه ووجوده، والنّصّ يصوّر لنا هذا المعنى بالقول:

((رهنوا الشّمس لدى كلّ المرابين،

([1]) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 423.
([2]) راجع: قصيدة (من مفكّرة عاشق دمشقيّ)
([3]) ينظر: أسئلة الشعرية: ص120.
([4]) التّخييل التّاريخيّ: ص242.

وباعوا بالملاليم القمر..

كسروا سيف عمر..

شنقوا التّاريخ من رجليه..

باعوا الخيل والكوفيّة البيضاء..

باعوا أنجم الليل، وأوراق الشّجر

(...)

أجهضونا قبل أن نحبل..

أعطونا حبوباً

تمنع التّاريخ أن ينجب أولاداً..))[1]

فعمليّة إزاحة التّاريخ عمليّة ناتجة عن فلسفة تتبع آثار الماضي وترصد محطّاته الغنيّة بالمآثر، وتعمل على إزالة موجوداته العينيّة والرمزيّة. والنّصّ بتمثيله اللغوي والسّيميائي للتّاريخ ينسّق شعريّا بين أحداث متباينة زمنيّاً لكنّها متوافقة دلاليّاً على ما يمثّل تاريخنا المفقود، وينقل فلسفته التي تقول أنّ مفقوديّة هذا التّاريخ ليست من ظروف زمنيّة طبيعيّة ولكنّها ناتجة عن فعل بشريّ يستهدف جوانبه الحضاريّة والثّقافيّة بوصفها مظهر التّاريخ وتجلّيه العملي.

إنّ الموروث الذي يتركه لنا التّاريخ لا يعني أن نتعامل معه على أنّه موجودات تاريخيّة تتعلق قيمتها المعنوية بوصفها شواهد على زمن انقضى، فقيمتها تستخلص من وجودها الفاعل في حاضرنا بوصفها تجارب تاريخيّة ذات فعل وإنجاز وتأثير، وليست مجرد حوادث عابرة، لأنّ حيازة موجودات الماضي لا تعني حيازة التّاريخ، ففلسفة النّصّ تشير إلى أنّ مفهوم التّاريخ ووجوده متعلقان بالكيفيّة التي نفقه فيها أنّ ما نبحث عنه في التّاريخ هو وجودنا ونحن نتمثّل الماضي، فوضع حاضرنا بموازاة ماضينا يكشف الوجه الذي نعرف من خلاله ماهيّة تاريخنا، بقول الشّاعر:

((نسطو على متاحف التّاريخ في الظّلام

ونسرق الخيول،

([1]) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 491-492.

والدّروع،

والأعلام..

نسرق سيف خالد..

نسرق ديوان أبي تمّام..

ونسرق المجد الذي يخصّهم

ونسرق الأيّام

خير لنا أن ندفن السّذاجة

ونترك التّاريخ في الثّلاجة))[1]

يؤسّس النّصّ فلسفة تنظر في الجانب المادّيّ للتّاريخ بوصفه أحد وجوه المعنى، وهذا يعني أنّ التّعامل مع التّاريخ على أنّه مجرّد آثار أو حكايات أو موجودات يغيّب حقيقته، فالتّاريخ من هذا المنظور يبدو مندثراً أكثر من كونه موجوداً، والفلسفة التي تخصّ جوانب التّاريخ المادّية هي قابليتها للتّحوّل إلى علامات؛ فعندما ينفصل الفاعل عن فعله لا يبقى ممّا فعله سوى الكلمات التي تضمن حضور الفعل وتمثيله مجدّداً من خلال التّاريخ فـ ((اللغة لا تقوم بتثبيت البعد الموضوعيّ في علامات فحسب، بل تضمّن الوجود داخلها رؤية تحدّد شكل حضور الإنسان فيه))[2] والمعطيات المعنويّة لوجود تاريخنا من خلال النّصّ تحيل على ما يمكن أن ينبعث من عوامل الوجود تلك، وليس من النظر إليها بوصفها آثار وجود مضى فحسب.

<u>استنتاج:</u>

- **يتبيّن لنا أنّ فلسفة التّاريخ عند نزار تتحرّك بطريقة علاميّة تتضمّن أطرافاً دلاليّة متضادّة أو متوازية، بحيث يكون أحد تلك الأطراف وحدة دلاليّة أساسيّة يتموضع فيها المعنى، ثم تتفرّع إلى الوحدات الأخرى عن طريق التّضافر أو التّضاد، الأمر الذي يشير إلى أنّ الدّوال النّصّيّة التي يأتي فيها التّاريخ تمثيليّاً أو تصويريّاً**

(1) الأعمال السّياسيّة الكاملة: ص 333.

(2) مسالك المعنى، دراسات في الأنساق الثّقافيّة: سعيد بنكراد، (سلسلة شرفات/ ع 48) منشورات الزّمن –المغرب، ط1، 2015م: ص75.

تحمل أبعاداً معنويّة جانبيّة أعمق؛ أي أنّ الدّالة المذكورة في النّصّ تحتمل معنيين متضادّين؛ فالشّاعر عندما يحاول أن يثبت أمراً فإنّه يعنى أنّه يريد أن ينفي به آخر، وعندما يرفض شيئاً فإنّه يريد أن يقيم غيره بدلاً عنه وهكذا، والمباحث التي ناقشناها تؤشّر ذلك.

- إنّ المجال الأهم للسّؤال الفلسفيّ عند نزار هو سؤال عن الحقيقة، والموضوعة التي ينبني عليها تصوّره نابع من النّظر في التّاريخ من مبدأ فلسفي في اقترانه بمسألة الحقيقة أو اللاحقيقة، فينظر نظرة نقديّة تفحص الوعي التّاريخي من خلال ما يحتويه التّاريخ من مفردات كالزّمن والوقائع والأقوال والأفعال، فمعيار الحقيقة لدى الشّاعر قائم على مطابقة الأفكار التي يكوّنها الإنسان عن التّاريخ لظرفيّة وزمنيّة ومكانيّة محدّدة، بمعنى أنّ الحقيقة التّاريخية في نظره ليست مطلقة وأبديّة، إنّما تكون نسبيّة على وفق ما يتطلّبه كلّ عصر ومقتضياته من مواقف وأفعال وأقوال وأفكار.

- يمكن القول أنّ فلسفة التّاريخ لا تتناول الحدث التّاريخي تناولاً مباشراً على غرار ما يفعل المؤرّخ، فهي توجد في المستوى الثّالث من مستويات الانشغال بالتّاريخي والاشتغال به، بمعنى أنّ الحدث التّاريخيّ حدث واقعيّ في المستوى الأوّل، ثم يتحوّل إلى حدث كلاميّ من خلال التّأريخ، ثم ينتقل إلى تحقّق نصّيّ أدبيّ، أي أنّ النّصّ الأدبيّ بإمكانه أن ينتج مادّة فكريّة نابعة من حدث تاريخيّ معيّن في الماضي أو الحاضر وما كتب عنه أو رُوي، وبهذا تتناول الفلسفة مادّة التّاريخ بوصفها مادّة قابلة للفهم والتّصور والرّؤية والتّفكّر، فالشّاعر لا يقدّم وصفاً مباشراً لما حدث ويحدث مثل المؤرّخ، ولكنّه يحمّل النّصّ معاني ودلالات مختلفة عما سبق لاشتمالها على جملة من المفاهيم والتّصوّرات.

- نستدلّ من خلال شعره أنّ مفهوم التّاريخ عنده ليس مسألة زمنيّة تنحصر بالماضي، لكنّها نظرة تجول بين الأوقات والعصور والحقب التي يكون الحاضر جزءاً منها، إذ لا يمثّل الماضي عندئذ سوى مثير يوقظ الذّاكرة ويحيل إلى السّابق، فالتّاريخ الذي ينبغي أن يوجد عنده هو ما يمكن إنتاجه وإنجازه خلال ظرفيّته وموقفه.
- نجد أنّ تكوين التّاريخ من خلال نصوصه يستند إلى موارد عدّة، منها التّاريخ المكتوب نفسه، والتّاريخ المادّيّ متمثّلاً بالأشياء التي يخلّفها السالفون، أو النّصّيّ مثل الحكايات والرّوايات .
- الفلسفة التي يبنيها نزار تنهض على جدل عن الوعي والوعي الموهوم أو الزّائف، فلا تقبل الأقوال التي تتناول التّاريخ أو تأخذه على أنّه ذكريات ماتعة ننتسب إليها انتساباً وجدانيّاً عاطفيّاً من خلال المأثورات، وليس من خلال التّجربة والواقع، كما لا تأخذ بالأفكار المجرّدة التي نكوّنها عن الماضي من دون مقارنتها مع الحاضر والإفادة من الموروث وعياً وسلوكاً، فهو يركّز على مقارنة الوقائع بين الماضي والحاضر، لأنّ القوّة هي دليل حضور التّاريخ الذي من دونه لا يوجد الحدث، فالفيصل هو الفعل الذي يثبت التّاريخ ويذهب به نحو المستقبل.
- ثمّة رؤية فلسفيّة تؤمن بتعدّد الأنساق وتقاطعها، وتقيم حدوداً فكريّة وتاريخيّة بين حقبة وأخرى، وتجد في النّظرة التي تجمع الماضي والحاضر في نسق واحد أمراً ينمّ عن ضيق نظر.
- يمكننا اجتراح مصطلح التّصوير التّاريخيّ للدّلالة على الجانب الذي يمكن للنّصّ الشّعريّ أن يجعل التّاريخ سبيلاً لطرح رؤيته وتصوّره.
- تشغل الشّخصيّات حيّزاً مهمّاً في فلسفة التّاريخ عند نزار، فهو إذ يوردها في سياقات متباينة، فإنّها في الإجمال تأتي بأسمائها شاهداً مباشراً على زمن معيّن وأحداث معيّنة، أو تأتي بطريقة رمزيّة بوصفها ضرباً تصويريّاً لدلالات معيّنة، وقد

تأتي بصفات معيّنة من خلال أفعالها التي يوجّه نقده إليها فيذكر بعضاً من متعلقات وضعها الفكريّ والسّياسيّ.

- لم تكن فلسفة نزار الشّعريّة في التّاريخ قائمة على نظريّة محدّدة من النّظريات التي تخضع لها فلسفة التّاريخ، إذ نجد أنّ فلسفته تتمخّض عن أفكار يحدّدها الموقف فتتوافق مع قسم مهمّ من فلسفات التّاريخ، ولا سيّما ما يتعلّق بنصّيّة التّاريخ، والقابليّة على التّفنيد، والقطيعة الفكريّة، والامتداد والدّيمومة، وغيرها.
- إذا كانت النظرية التي يتخذها نزار في التّاريخ قائمة على جدليّة الفعل والقول ، فإذا نصوصه تؤشّر لتفوّق الفعل على القول من حيث الأهميّة في التّأريخ، لأنّ التّاريخ عنده إنتاج وبناء وفاعليّة، وليس مجرد عبارات تنقل لنا صورة عن الماضي.
- لم يكن التّاريخ الذي يتصوّره نزار ويطلبه عبارة عن نسق متآلف من الأحداث تسير تصاعديّاً مع الزمن، بل جاء على وفق ذهنيّة شعريّة تحليليّة، تنظر إلى الموقف والعبارة نظرة ديناميّة مختلفة عن السّائد والمعروف، لذا فإنّ تركيب الصّور يكون مسبوقاً على الدّوام بتحليل الواقع وتفكيكه واستهجانه، ثمّ يأتي بالصّور التي تقدّم ذلك بطرائق شعريّة تناسب الحدث والعصر والخطاب.

References

1. Abdel-Wasea Al-Hamiry, **What is the speech? How do we analyze it?:** The Arab Institute for Studies and Publishing - Beirut, 1st edition, 2009 AD.
2. Abdullah Abd al-Lawy, **The epistemology of history, methodological approaches to the manufacture of historical knowledge:** Ibn al-Nadim for publication and distribution - Algeria, 1st edition, 2009.
3. Abdullah Al-Ashi, **Poetic Questions, A Study of the Mechanism of Poetic Creativity:** Al-Ikhtif Publications - Algeria, 1st edition, 2009 AD.
4. Abdullah Ibrahim, **historical fiction; Narration, Empire, and the Colonial Experience:** The Arab Institute for Studies and Publishing - Beirut, 1st edition, 2011.
5. Adel Daher, **poetry and existence; A Philosophical Study in the Poetry of Adonis:** Dar Al-Mada for Culture and Publishing - Damascus, 1st edition, 2000 AD.
6. Adrian Marino, **Criticism of Literary Ideas:** Translated by: Muhammad Al-Rami, Reviewed and Presented by: Saeed Alloush, The National Project for Translation, The General Authority for Amiri Press - Cairo, 1st edition, 2008 AD.
7. Ahmad Al-Shayeb, **A History of Political Poetry to the Middle of the Second Century:** Dar Al-Qalam - Beirut, 5th edition, 1976 AD.
8. Ahmed Al-Mutawakkil, **Arabic Language Issues in Functional Linguistics - Discourse Structure from Sentence to Text:** Dar Al-Aman for Publishing and Distribution - Rabat, 1st edition, 2001.
9. Al-Hadi Al-Taymoumi, **Modern Historical Schools:** Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing - Beirut, 1st edition, 2013 AD.
10. Ali Adham, **Between Philosophy and Literature:** Dar Revival of Arabic Books - Cairo, 1st edition.
11. Al-Sadiq Al-Nahyum: **Nizar Qabbani and the mission of poetry:** Preparation and investigation: Salem Al-Ketbi (Series of Studies / p. 4) Tala for printing and publishing - Libya, 1st edition.

12. Al-Sayyd Walad Abah, **History and Truth in Michel Foucault:** Arab House for Science - Beirut, 1st edition, 2004.
13. Al-Zawawi Boughura, **Philosophy and Language (Criticism of the Linguistic Turn) in Contemporary Philosophy:** Dar Al-Tali'ah - Beirut, 1st Edition, 2005.
14. **Complete Political Works**, Consultations of Nizar Qabbani - Beirut, 1st edition.
15. David Basbandar, **Theory of Contemporary Literature and Reading Poetry:** Translated by: Abdel-Maksoud Abdel-Karim, The Egyptian General Book Organization - Cairo, 1st edition, 2005.
16. **Existence, Time and Narration, Paul Ricoeur's Philosophy**: Edited by: David Ward, Translated by: Saeed Al-Ghanmi, The Arab Cultural Center - Casablanca, 1st edition, 1999 AD.
17. **History, Linguistics, Text, and Interpretation Levels:** Coordination and Presentation by: Abdul-Ahad Al-Sabti, (Round Table Works - Marrakech / 1990 AD) 1st edition, 1992 AD.
18. Jacques Ranciere, **The Politics of Literature:** Translated by: Radwan Zaza, The Arab Organization for Translation - Beirut, 1st edition, 2010.
19. Jean Bousil, **Al-Zaman:** translated by: Muhammad Nadim Khashefa, Center for Civilization Development - Aleppo, 1st edition, 2005 AD.
20. Jonathan Keller, **An Introduction to Literary Theory:** Translated by: Mustafa Bayoumi Abdel Salam, The National Project for Translation, The Supreme Council for Culture - Cairo, 1st edition, 2003.
21. Lucien Goldman, **Human Sciences and Philosophy:** Translated by: Youssef Al-Antaki, Reviewed by: Muhammad Barrada, The Supreme Council for Culture - Cairo, 1st edition, 1996 AD.
22. Mahmoud Mohamed Essa, **The Literary Context, An Applied Critical Study:** Mansoura University Publications - Egypt, 1st edition, 2004.
23. Paul Ricoeur, **From text to action, Interpretation Research:** translated by: Mohamed Barrada and Hassan Bourqia.

24. **Perspectives on Linguistic and Semantic Theories in the Second Half of the Twentieth Century (Arabized Selections):** Supervision and Coordination: Ezzedine Majdoub, Translation: A Group of Professors and Researchers, Part 2, House of Wisdom - Carthage, 1st edition, 2012.
25. Philip Hamoun, **Restricted Discourse:** in: Literature and Reality, translated by Abdul Jalil Al-Azdi and Muhammad Moatasem, Al-Ikhtif Publications - Algeria, 1st edition, 1992 AD.
26. Pierre Macheri, **what literature thinks; Applications in Literary Philosophy:** Translated by: Joseph Shreim, Reviewed by: Bassam Baraka, The Arab Organization for Translation - Beirut, 1st edition, 2009.
27. Roland Barthes, **The Hissing of Language:** Translated by: Munther Ayachi, Center for Civilization Development - Aleppo, 1st edition, 1999 AD.
28. Saeed Benkrad, **Paths of Meaning, Studies in Cultural Patterns:** Al-Zaman Publications - Morocco, 1st edition, 2015 AD.
29. Said Benkrad, **Semiotics of the text, levels of meaning:** Dar Al-Aman - Rabat, 1st edition, 2018 AD.
30. **The Theory of Literature in the Twentieth Century:** Translated and Prepared by: Muhammad Al-Omari, East Africa - Morocco, 2nd edition, 2004 AD.

The Philosophy of History in the Poetry of

Mahmood Ayed Ateya *

Abstract *Nizar Qabbani:*

(The Political Works as a Model)

***Asst. Prof/ Department of Arabic Language/ College of Education for Girls / University of Mosul.**

The problem of the research is determined in standing on the philosophy of history through the political poetry of Nizar Qabbani, as an issue present in our Arab consciousness, accompanied by political and intellectual changes that changed several real facts, including social, artistic and civilized ones. Our poet was close to the intellectual scene of history with his literary and political experience, and we find that he poetically interacted with that experience in a way that makes it worthy of study and research.

Expressive aesthetic and artistic issues in the literary text may be among the issues that help the recipient know the creator's style, reveal his ideas and directions, and then contribute to directing reading, and determine the critical path that searches the contents of those texts . This leads to directing the reader's or critic's understanding of those texts and to a large extent determines the course of his research. Our research is trying to go to the intellectual corner, which we find that it still needs research and investigation. Especially since the topic that we present is a mixture of thought, reality, and literature; Each of these topics represents an important topic in critical and humanistic studies.

Our research included paragraphs necessitated by the problem, so we put a preface to show how history is a reference in technical language in particular in a literary experience, so that we can critically reveal it, then we distributed its material on philosophical aspects of history included in the studied text, in terms of the dialectical interrelationship between two or more issues, because the basis on which history operates is related to those issues that have a temporal interrelationship that connects the past with the present, and they included: action, thinking and writing, extension and permanence, rejection and transcendence, movement and stillness, then the present and the missing, as they were all discussed by inference through linguistic and pictorial evidence, then the facts and textual references were compared in a way that reveals the ideas generated by the text, and we ended up with a conclusion that shows what we have reached through the research .

Key words: the philosophy of history - temporality - vision - rejection - permanence.